الفصل الثالث

تاريخ منطقة الرياض خلال عهد الدولة السعودية الثانية

إعداد
الدكتور
محمد بن علي عسيري
قسم التاريخ - كلية العلوم الاجتماعية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

المملكة العربية السعودية
K.S.A. 100 YEARS

توحيد وبناء

obeikan.com

تمهيد:

لم يمض على سقوط الدولة السعودية الأولى وتخريب عاصمتها الدرعية سنة ١٢٣٣هـ-١٨١٨م، إلا زمن يسير حتى هبت القوى المختلفة في منطقة الرياض إلى طرد المعتدين وإحياء الدولة التي هي رمز وحدتهم وقوتهم واجتماع كلمتهم على مبادئ الدعوة الإصلاحية التي لم يفلح المعتدي في تخريبها كما خرب مدينة الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى، أو انتزاعها كما انتزع الحكم من آل سعود، بل ظلت كامنة في النفوس ومشعلاً يضيء الطريق لنهضة عظيمة بدأت تلوح في أفق الجزيرة العربية.

ولقد كان المجتمع النجدي يكن الولاء للأسرة السعودية التي تبنت مبادئ هذه الدعوة الإصلاحية ونصرتها، وأقامت لهم دولة قوية هي الدولة السعودية الأولى، وتولت الدفاع عنهم ضد كل طامع يهدف إلى النيل من استقلالهم وإخضاعهم لأي نفوذ أجنبي يريد أن يسلبهم الحرية التي هي أغلى شيء بعد العقيدة عند ابن الصحراء. لذلك لا نستغرب قيام الثورات ضد قوات محمد علي في منطقة الرياض وإبراهيم باشا لا يزال فيها ولم يغادرها بعد حتى كاد يقتل في إحدى حملاته التأديبية في المنطقة.[١]

وزاد من كراهية أبناء المنطقة للحكم الأجنبي ما قام به الجند العثمانيون من سوء معاملة الأهالي والسلب والنهب والقتل والتعذيب والأسر والتخريب.[٢]

وبعد رحيل إبراهيم باشا بقواته إلى مصر سنة ١٢٣٤هـ-١٨١٨م حدث ما كان متوقعاً نتيجة انعدام السلطة القوية، إذ دبت الفوضى السياسية وتجددت الضغائن بين زعماء منطقة الرياض، وسيطر الخوف على كثير من سكانها لاختلال الأمن، فبات عدد غير قليل منهم يتوقون إلى الخلاص من الحالة التي وصلوا إليها.[٣]

وفي هذه الأثناء ظهر في منطقة الرياض محمد بن مشاري بن معمر محاولاً إقامة دولة له متخذاً من الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى مقراً له، وكان محمد بن مشاري بن معمر قد اشترك مع أفراد

---

(١) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، جزءان، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض؛ والعثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٢هـ)، **تاريخ المملكة العربية السعودية**، ج١، ط٤، مطابع الشريف، الرياض، ص٢٠٣.

(٢) أبو علية، عبدالفتاح حسن، (١٤٠١هـ)، **الدولة السعودية الثانية**، مؤسسة الأنوار، الرياض، ص٣٠.

(٣) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ص٢١٨؛ والعثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٢هـ)، مرجع سابق، ص٢٠٤.

أسرته في الدفاع عن الدرعية أثناء حصار إبراهيم باشا لها، وأقام ابن معمّر في بلدة العيينة التي كانت إمارتها لأسرته قبل قيام الدولة السعودية الأولى. وكان إبراهيم باشا يعده من الأصدقاء لا من الخصوم وعامله بود واحترام. وبعد أن انسحب إبراهيم بقواته من نجد راودت محمد بن مشاري فكرة إقامة دولة في هذه المنطقة، ولعل مما شجعه على ذلك الفراغ السياسي الذي نجم عن إبعاد آل سعود من المنطقة، وأنه يمت بصلة مصاهرة لآل سعود لأن خاله هو عبدالعزيز بن محمد بن سعود، كما أنه يمتلك كثيراً من الأموال والأسلحة حيث لم يمسه إبراهيم باشا بسوء.(١)

ومن ثم عاد إلى الدرعية في أواخر عام ١٢٣٤هـ/ ١٨١٨م فأخذ يعيد بناءها وأظهر إعلان الدعوة، ودعا قادة المنطقة إلى مبايعته، لكن بعض القادة النجديين(٢) رأوا في حركته مصدر خطر عليهم، فاتصلوا بزعماء بني خالد وحثوهم على التوجه إلى نجد للقضاء على حركة ابن معمر في مهدها، ولذلك توجه ماجد بن عريعر بأتباعه إلى نجد، ولكن ابن معمر أرسل إلى ماجد بعض الهدايا وأخبره بأنه تابع للسلطان العثماني، وبهذا تخلص ابن معمر من الخطر الذي أحدق به.(٣)

وبمرور الوقت ازدادت شعبية ابن معمر لدى النجديين، وعمل على الحد من ارتفاع الأسعار في الدرعية بما استقدمه من قوافل للطعام. وعاد إلى الدرعية كثير ممن تركوها قبيل استسلامها لإبراهيم باشا، ومن بين هؤلاء تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود، وأخوه زيد، اللذان أخذا يساعدان ابن معمر في نشاطه، واستقرت الأمور في نجد لابن معمر بعد أن أخضع حريملاء بمساعدة زيد بن عبدالله بن محمد بن سعود. ثم دانت له بعض البلدان النجدية الأخرى بالولاء.(٤)

ولكن ذلك لم يدم طويلاً، فقد حدث أن مشاري بن سعود أخا الإمام عبدالله بن سعود هرب من حراسه أثناء إرساله إلى مصر مع آل سعود، ووصل إلى الوشم، حيث انضم إليه بعض الأعوان من أهل

---

(١) العجلاني، منير، (١٤١٠هـ)، مرجع سابق، ص٧٨.

(٢) من هؤلاء القادة النجديين؛ أمير الرياض ناصر العائدي، وأمير حريملاء حمد بن مبارك، وأمير الخرج زيد بن زامل. انظر: الذكير، مقبل بن عبدالعزيز، (مخطوط)، **العقود الدرية في تاريخ البلاد النجدية**، ص ٣٢، -صورة في دارة الملك عبدالعزيز رقم ٥٧٠.

(٣) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ص ص٢١٩-٢٢١.

(٤) الذكير، مقبل بن عبدالعزيز، مرجع سابق، مخطوط-ص رقم ٣٢.

القصيم والزلفي وثرمداء وغيرهم، فاتجه بهم إلى الدرعية ودخلها في العاشر من جمادى الآخرة عام ١٢٣٥هـ/ ١٨١٩م، ولم يجد ابن معمر أمامه حلاً إلا أن يتنازل له عن الحكم،[١] وما إن بويع مشاري ابن سعود بالحكم في الدرعية حتى قدم إليه عدد من أفراد الأسرة السعودية، الذين هربوا من تلك المدينة وقت استسلامها لإبراهيم باشا، كما أيده تركي بن عبدالله وعضَّده، ثم قدمت إليه وفود من سدير والوشم والعارض والمحمل وغيرهم من مناطق نجد. وبعد أن اطمأن مشاري لقواته جمع أتباعه واتجه بهم إلى الخرج حيث استولى عليها، واتجه إلى الدلم فدانت له، ثم رجع قافلاً إلى وطنه (الدرعية).[٢]

ندم ابن معمر على تخليه عن الإمارة لمشاري بن سعود ومبايعته له، وأعدّ خطة محكمة لاسترجاع الإمارة، فانتقل من الدرعية إلى سدوس وهناك اعتكف في داره بحجة أنه مريض، ولكنه كان يكاتب سراً من يعتقد فيهم الميل إليه وكراهية مشاري، خاصة رؤساء حريملاء الذين طلبوا منه المجيء إلى بلدهم ووعدوه المؤازرة والمناصرة، فانتقل إلى حريملاء، ومن هناك كتب إلى فيصل الدويش زعيم قبيلة مطير أن يمده بالمقاتلين ففعل، وسار إلى الدرعية دون أن يشعر به أحد ودخلها في غفلة، وغدر بمشاري بن سعود، وأرسله أسيراً إلى سدوس، ثم توجه ابن معمر بقواته إلى الرياض، وكان تركي بن عبدالله مقيماً فيها فغادرها قبل أن يقع هو الآخر أسيراً لابن معمر.[٣]

وكان محمد علي والي مصر يتابع الأحداث النجدية باهتمام بالغ عن طريق مصادره المتعددة في الجزيرة العربية، وأرسل إلى السلطان العثماني يستأذنه في إرسال قواته للقضاء على مشاري بن سعود.[٤] وبعث بفرقة من الجيش بقيادة آبوش آغا إلى عنيزة، وكان ابن معمر قد سبقه إلى الدرعية، وأخبره بأن الأعمال التي يقوم بها إنما هي في صالح محمد علي والدولة العثمانية، فأمَّره آبوش أغا على أعماله وأيد إمارته على المنطقة.[٥] بعدما وعده بتسليم مشاري بن سعود إليه.

---

(١) آل بسام، عبدالله بن محمد، (مخطوط)، **تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق**، ص ١١٧، نسخة مصورة بمكتبة دارة الملك عبدالعزيز، رقم ٢١٠.

(٢) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ص ص٢٢٢-٢٢٣.

(٣) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ص ص٢٢٣-٢٢٤؛ العجلاني، منير، (١٤١٠هـ)، مرجع سابق ص٩٥.

(٤) المصدر السابق، ص ص٩٠-٩٤.

(٥) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ص٢٢٤.

obeikan.com

المبحث الأول

الإمام تركي بن عبدالله وقيام الدولة السعودية الثانية في منطقة الرياض

لما غدر ابن معمر بمشاري بن سعود صمم تركي بن عبدالله أن يعيد الحق إلى نصابه، وكان تركي قد اتجه إلى ضرما بعد تركه الرياض، وأرسل ابن معمر قوة بقيادة ابنه مشاري للقبض على تركي وأعوانه هناك، ولكنه فشل في مهمته، وبايع أهل ضرما تركي بن عبدالله، وكذلك أتى إليه أناس من أهل الجنوب وسبيع وغيرهم.[١]

ومن ضرما قصد تركي بن عبدالله الدرعية في ربيع الأول عام ١٢٣٦هـ/ ١٨٢٠م، وتمكن من ابن معمر وحبسه، ثم توجه إلى الرياض، فاستولى عليها، وقبض على أميرها مشاري بن محمد بن مشاري ابن معمر، وفي محاولة من تركي لإنقاذ مشاري بن سعود، وعد بإطلاق سراح ابن معمر وولده مقابل إطلاق سراح مشاري بن سعود،[٢] وكتب ابن معمر إلى عشيرته في سدوس راجياً إطلاق سراح مشاري بن سعود، ولكنهم امتنعوا خوفاً من الترك، وقاموا بتسليمه لهم، فلما تحقق تركي من أن مشاري بن سعود سُلّم للعثمانيين، ضرب عنق ابن معمر وولده في آخر ربيع الأول عام ١٢٣٦هـ/ ١٨٢٠م؛ لأنهما تسببا في موت مشاري بن سعود في سجنه بعنيزة.[٣] وبذلك بدأ حكم الإمام تركي بن عبدالله الذي يعد المؤسس الأول للدولة السعودية الثانية.

ولكن هذا النجاح الذي حققه تركي بن عبدالله وظهوره بتلك الصورة وبهذا النشاط كان مصدر قلق لمحمد علي وممثله آبوش آغا، ولذلك قام محمد علي بإرسال قوات جديدة مع حسن بك عزّز بها قوات آبوش آغا، وانطلقت القوات من القصيم إلى الوشم ثم إلى الرياض. وحوصر تركي بن عبدالله وأنصاره في قصر الإمارة. ولما اشتد الحصار تسلل تركي من القصر ليلاً إلى خارج المدينة متجهاً إلى

---

(١) العجلاني، منير، (١٤١٠هـ)، مرجع سابق، ص ص٩٦-٩٧.

(٢) الذكير، مقبل بن عبدالعزيز، مرجع سابق، ص ٣٣.

(٣) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ص٢٢٤.

جنوب نجد، ومعه عدد قليل من أعوانه، حيث أدرك عجزه عن المقاومة. وطلب الذين حوصروا معه في مدينة الرياض الأمان واستسلموا، لكن غُدر بهم وقُتل أكثرهم.[١] ولم يكتف حسن بك بهذا بل قتل مائتين وثلاثين رجلاً من أهل الدرعية، وفرّق ضباطه في بعض البلدان النجدية ليقوموا بالقتل والتعذيب ومصادرة الأموال. ثم انسحب بقواته من نجد، تاركاً حاميات صغيرة في كل من الرياض ومنفوحة وثرمداء وعنيزة.[٢]

وتجددت الاضطرابات بين الزعامات المحلية في منطقة الرياض، ولذلك قدمت إلى المنطقة حملة عسكرية جديدة بقيادة حسين أبو ظاهر قامت بالغدر والظلم والجور كما هي عادة حملات محمد علي، ولكن صبر السكان نفد أمام هذه الإجراءات التعسفية، فكان لابد من المقاومة والثورة. وبدأت قبيلة سبيع بذلك في أواخر عام ١٢٣٧هـ، حيث قتلت في الحائر أكثر من ثلاثمائة رجل.[٣] ولم يبق في منطقة الرياض من قوات محمد علي إلا ما كان في منفوحة والرياض، ولم تستطع قوات محمد علي القضاء على إيمان السكان في نجد، فلقد كان إيماناً متغلغلاً في أعماق نفوسهم، ولم تستطع أن تنتزع من قلوب الشعب هذا الحنين القوي إلى أمجادهم، وهذا الولاء الخالص لزعمائهم الأوائل الذين بنوا لهم الأمجاد بدمائهم الزكية وشجاعتهم الخارقة وسهرهم الدائم الموصول على أمن الشعب وعزمه.[٤]

وفي رمضان عام ١٢٣٨هـ/ ١٨٢٢م استأنف الإمام تركي بن عبدالله نشاطه ضد العثمانيين، فقام بجمع قوة كافية وصل بها إلى عرقة -بين الرياض والدرعية- وما كان الإمام تركي بقادر على جمع الناس حوله، لولا توفيق الله ثم إن أهل نجد وجدوا فيه البطل العظيم والمجاهد المؤمن الذي حمل سيف الإسلام ورفع راية التوحيد، بالإضافة إلى عاطفة الولاء التي جاشت في أعماق نفوس أهل نجد نحو آل سعود، وكان تركي في نظرهم الوارث المرتجى لآل سعود تجسدت في بطولته آمال أهل نجد في حرية البلاد ووحدتها وقوتها.[٥]

---

(١) المصدر السابق، ص٢٢٦.

(٢) المرجع السابق، ص ص٢٢٧-٢٢٩.

(٣) آل بسام، عبدالله بن محمد، مرجع سابق، ص رقم ١٢٠.

(٤) العجلاني، منير، (١٤١٠هـ)، مرجع سابق، ص١٠٦.

(٥) المرجع السابق، ص١٠٧.

استقر الإمام تركي بن عبدالله في عرقة برجاله وسلاحه، حيث وفد عليه أمير ناحية الوشم حمد بن يحيى، وفشلت القوات العثمانية التي حاصرته في عرقة، حيث قاومهم ببسالة وصبر واضطرهم إلى الانسحاب، وكاتب أهل الخرج، وثرمداء، وحريملاء واستولى على ضرما بالقوة، كما كاتب أهل جلاجل، وسُدير، والروضة، والتويم، وثادق حتى لانت قلوبهم، وكتب إلى أهل سدير، فركب إليه جميع رؤساء سدير وبايعوه. كما بايعه أهل جلاجل والزلفي والغاط وغيرهم، وامتنع أهل حريملاء فهددهم فبايعوه. وهكذا وبتوفيق من الله ثم بسبب سياسته الحكيمة اجتمع حول الإمام تركي بن عبدالله من أهل نجد بالسلم أكثر مما اجتمع حوله بالحرب. وبدأ في محاربة الحاميتين العثمانيتين في منفوحة والرياض، واستمر في حربهما أكثر من عام.(١) وفي أواخر عام ١٢٣٩هـ/ ١٨٢٣م تقدمت قوات الإمام تركي إلى منفوحة وأجبرت حاميتها على الانسحاب منها واستولت عليها.(٢)

وفي بداية عام ١٢٤٠هـ/ ١٨٢٤م تقدم الإمام تركي بن عبدالله بقواته من منفوحة إلى الرياض، واشتبك مع حاميتها العثمانية في أكثر من موقعة خسر فيها الفريقان العديد من القتلى، وحاصرت قوات الإمام الرياض أكثر من شهر، واستولت على إنتاجها من التمر الذي أوشك على النضج، ودمّرت المزروعات، ثم رفعت الحصار عنها حينما وصل فيصل الدويش بعربانه لنجدتها. وعاد الإمام لحصار الرياض مرة أخرى بعد رحيل الدويش، فاضطر أبو علي المغربي قائد الحامية العثمانية في الرياض إلى طلب الصلح، فوافق الإمام تركي بن عبدالله على أن يخرج المغربي بقواته وأسلحته من الرياض، وأن يؤمن أهل الرياض الذين تعاونوا معه على أرواحهم وأموالهم.(٣)

ودخلت القوات السعودية الرياض بقيادة مشاري بن ناصر آل سعود. أما الإمام تركي فقد توجه مع أعوانه إلى الوشم ونزل ثرمداء وبايعه رئيسها على السمع والطاعة، ورحل معه إلى شقراء حيث أراد الإمام تركي بن عبدالله أن يقطع خط الرجعة على القوات العثمانية المنسحبة من الرياض خشية أن تحاول هذه القوات احتلال هذه المنطقة لمعاودة الهجوم منها على الرياض مرة أخرى، وأقام في شقراء شهراً، وخلال هذا الشهر وفد إليه أمير بلدة عنيزة يحيى بن سليم مبايعاً على السمع والطاعة.(٤)

---

(١) الذكير، مقبل بن عبدالعزيز، مرجع سابق، ص ٣٦.

(٢) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ص٢٢٥.

(٣) آل بسام، عبدالله بن محمد، مرجع سابق، ص رقم ١٢٣.

(٤) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ص١٧.

وهكذا كان استرداد الإمام تركي بن عبدالله للرياض في بداية ١٢٤٠هـ/ ١٨٢٤م وجلاء القوات العثمانية عنها إيذاناً بقيام الدولة السعودية الثانية التي تعتبر امتداداً طبيعياً للدولة السعودية الأولى ومكملة لمسيرتها، بل إن سقوط الدرعية في يد القوات العثمانية رغم أهميتها لم يكن إلا حدثاً طارئاً استطاع رجال الدولة السعودية الثانية احتواء آثاره خلال فترة وجيزة من الزمن، ولعل ذلك يرجع في الغالب إلى أن الدولة السعودية قامت على مبادئ الدعوة السلفية التي لم تستطع القوات العثمانية انتزاع مبادئها السامية من قلوب النجديين، الذين ظلوا على ولائهم للدولة السعودية التي آمنت بهذه الدعوة وجاهدت في سبيلها. ولذلك فبمجرد رحيل قوات إبراهيم باشا لم يجد القادة السعوديون صعوبة في تجنيد الطاقات لإقامة الدولة السعودية مرة ثانية.

الإمام تركي بن عبدالله مؤسس الدولة السعودية الثانية:

يعتبر الإمام تركي بن عبدالله هو المؤسس الأول للدولة السعودية الثانية خلاف ما يعتقده قلة من المؤرخين،[١] حيث قام بطرد قوات محمد علي من المنطقة، واستولى على الرياض واتخذها عاصمة لحكمه، ومنها انطلق لتوطيد نفوذه في كل الأقاليم النجدية، خاصة وأن محمد علي حاول أن يقضي على أي حركة يقوم بها أحد أفراد آل سعود بعد القضاء على دولتهم الأولى، وقد ظهر هذا واضحاً وجلياً سواء في محاولة خنق حركة مشاري بن سعود بواسطة أعوان محمد علي، أو التدخل المباشر لضرب محاولة تركي بن عبدالله، وكان العداء واضحاً بين قوات محمد علي والإمام تركي، ونجاح الأخير في طرد قوات محمد علي يعتبر أهم العوامل التي ساعدت في قيام الدولة السعودية الثانية، حيث إنه بمجرد جلاء القوات عن بلاد نجد، بدأ رؤساء بعض بلدانه يفدون إلى الإمام تركي ليبايعوه إماماً لهم، والبعض الآخر -وهم قلة- احتاج إلى استخدام القوة. ولم ينته عام ١٢٤٣هـ/ ١٨٢٧م إلا وإقليم نجد قد دخل بأكمله في طاعة الإمام تركي بما في ذلك القصيم وجبل شمر. وقبل أن يقتل كان نفوذ دولته يشمل نجداً والأحساء وأجزاء من عمان، ولم تتسع الدولة السعودية الثانية في عهد فيصل أكثر مما اتسعت في عهد أبيه.[٢]

---

(١) منهم: أبو علية، عبدالفتاح حسن، (١٤١١هـ)، مرجع سابق، ص ص٤٠-٤١.

(٢) لمزيد من التفاصيل راجع: العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤٠٤هـ)، **بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية**، دار الهلال، الرياض، ص ص١٤٧-١٥٢.

ولم يحاول محمد علي أو حكومة الحجاز التدخل في شؤون نجد بصورة مباشرة طوال حكم الإمام تركي، الذي مارس حكمه وقام بتعيين العمال والقضاة على جميع البلدان التي خضعت لنفوذه في منطقة الرياض والمناطق الأخرى كالأحساء والساحل العماني، وقد اتبع كل الأنظمة التي سار عليها أسلافه أئمة الدولة السعودية الأولى.[١]

الرياض قاعدة الحكم السعودي:

لقد ظلت الدرعية هي قاعدة حكم الدولة السعودية الأولى إلى نهايتها بعد استسلام الإمام عبدالله ابن سعود في الثامن من ذي القعدة سنة ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م للقوات الغازية -قوات إبراهيم باشا- وقد أعقب ذلك قيام المعتدي (إبراهيم باشا) بتدمير الدرعية ونهبها، والانتقام الغادر من سكانها؛ إمعاناً في القضاء على مقومات الدولة، وإرهاباً لأنصارها حتى لا تقوم لها قائمة كما سبق إيضاح ذلك بالتفصيل.

ويعد الإمام تركي بن عبدالله أول من اتخذ من الرياض قاعدة للحكم السعودي بعد نجاح جهوده في تأسيس الدولة السعودية الثانية سنة ١٢٤٠هـ/ ١٨٢٤م وأصبحت الرياض منذ ذلك العهد إلى الوقت الحاضر قاعدة للحكم السعودي وعاصمة للمملكة العربية السعودية. وترجع أسباب اختيار الإمام تركي ابن عبدالله للرياض لتكون قاعدة لحكمه وتفضيلها على الدرعية إلى عدة عوامل منها: أن إبراهيم باشا دمر الدرعية كما سبق ويصعب إعمارها في فترة قصيرة وظروف الدولة تتطلب وجود مقر عمار لتتمكن من ممارسة نشاطها الحربي والسياسي والإداري، إضافة إلى قوة تحصين الرياض وأهمها السور الذي طالما رد كثيراً من الهجمات ضدها.[٢] على عكس الدرعية التي خرب إبراهيم باشا سورها فأصبحت مفتوحة أمام الغزاة.

يضاف إلى ذلك كثرة مزارع الرياض[٣] ونخيلها التي تنتشر بكثرة فيما حولها، أكثر من الدرعية التي تتركز زراعتها ونخيلها على ضفاف وادي حنيفة فقط، وهي قليلة على كل حال مقارنة بمزارع مدينة الرياض.

---

(١) عبدالرحيم، عبد الرحيم عبدالرحمن، (١٩٨١م)، **محمد علي وشبه الجزيرة العربية ١٢٣٤-١٢٥٦هـ/ ١٨١٩-١٨٤٠م**، ج٢، ط١، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ص٢٧٣.

(٢) راجع ما سبق تفصيله في الدولة السعودية الأولى من هجمات الإمام محمد بن سعود وابنه عبدالعزيز على الرياض التي بلغت ٣٥ غزوة خلال الفترة ما بين عام ١١٥٩-١١٨٧هـ.

(٣) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤٠٤هـ)، مرجع سابق، ج١، ص٢١٠.

وبمناسبة اتخاذ الإمام تركي بن عبدالله الرياض قاعدة لحكمه واستمرار خلفائه على نفس سياسته حتى أصبحت الرياض اليوم عاصمة المملكة العربية السعودية وكبرى مدنها، وأعظم مدينة تربض في قلب الصحراء، فإنه من المستحسن إعطاء نبذة تاريخية عن هذه المدينة ونشأتها وتطورها، وأهم معالمها في عصر الدولة السعودية الثانية، مع ملاحظة عدم تكرار ما سبق تفصيله في الفصول السابقة.

نشأة مدينة الرياض وتسميتها:

يتفق أغلب الباحثين المحققين[١] على أن مدينة الرياض قد قامت على أنقاض مدينة حَجْر القديمة.[٢] ولكي نقف على كيفية ظهور مدينة الرياض على أنقاض مدينة حَجْر لا بد لنا من تتبع ما ورد عن مدينة حَجْر بعد القرن الثامن إلى اختفاء اسمها، وظهور اسم الرياض على أنقاضها. وفي هذا الصدد يجد الباحث صعوبة كبيرة في تتبع تاريخ مدينة حَجْر في هذه الفترة الغامضة من تاريخ المنطقة، بسبب قلة المصادر إلا من بعض الإشارات البسيطة التي تذكر اسم حَجْر ومنها: في منتصف القرن التاسع الهجري وفَدَ ربيعة بن مانع المريدي على ابن عمه ابن درع صاحب حَجْر والجزعة من الدرعية بالقطيف فأقطعه المُلَيْبيد وغُصَيْبَة وما بينهما في مكان الدرعية الآن فسماه من يومئذٍ باسم الدرعية. وربيعة بن مانع هو الجد الثاني عشر للملك عبدالعزيز (رحمه الله).[٣]

وكانت هذه آخر إشارة إلى حَجْر في المصادر التاريخية مما يدل على أن شأن مدينة حَجْر المشهورة قد بدأ يتضاءل ويضعف نتيجة لعوامل كثيرة ليس هذا مجال التفصيل فيها. وبدأ اسم حَجْر يختفي شيئاً فشيئاً، في حين بدأت تظهر مكانه أسماء جديدة مثل مقرن ومعكال وهي كيانات متنافسة كل منها تدعي الزعامة وتحتضن السلطة، وتقوم بينها المنافسات والحروب.[٤]

---

(١) ابن بليهد، محمد بن عبدالله، (١٣٩٩هـ)، **صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار**، ج١، القاهرة، ص ص١٩٩-٢٠٤.

الجاسر، حمد، (١٣٨٦هـ)، **مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ**، ط١، منشورات دار اليمامة، الرياض، ص ص٩-١٦.

ابن خميس، عبدالله بن محمد، (١٣٩٨هـ)، **معجم اليمامة**، ط١، ج١، مطبعة الفرزدق، الرياض، ص ص٢٩٢-٣٠٥.

(٢) سبق أن درست مدينة حَجْر من خلال أقوال الجغرافيين والرحالة المسلمين في الفصل الثالث من الجزء الثاني إلى آخر ما ورد عنها في رحلة ابن بطوطة الذي زارها سنة ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م فليرجع إليه.

(٣) الجاسر، حمد، (١٣٨٦هـ)، مرجع سابق، ص٨٥.

(٤) ابن خميس، عبدالله بن محمد، (١٣٩٨هـ)، مرجع سابق، ج١، ص ص٣٠٤-٣٠٥.

وهذه التسميات غير معروفة الأصل هل هي أسماء لقرى جديدة نشأت حول حَجْر وبرزت بعد أن تضاءل شأن المدينة (حَجْر)؟ أم هي أحياء من حَجْر ـ المدينة القديمة ـ حلت محلها بعد اختفاء اسمها؟ ويرجح الشيخ حمد الجاسر[١] أن هذه التسميات كانت قديماً من محلات مدينة حَجْر متصلة بعضها ببعض ثم تحولت إلى قرى صغيرة متفرقة بعد اختفاء اسم حَجْر منذ القرن العاشر. وظلت تلك التسميات وخاصة معكَال ومُقْرِن هي المذكورة في الإشارات التاريخية عن المنطقة خلال القرن العاشر والحادي عشر الهجريين، وأن اسم الرياض بدأ في البروز في فترة حكم دهام بن دواس، ثم أُطلق اسم الرياض على تلك المحلات القديمة المتبقية من حَجْر وهي معكال ومقرن والعَوْد في القرن الثاني عشر الهجري.[٢]

هذا ما ذكره الشيخ حمد الجاسر عن ظهور اسم الرياض وإطلاقه على الأحياء المتبقية من مدينة حَجْر القديمة. ولكن هناك إشارات متعددة لدى ابن بشر ورد فيها ذكر بلد الرياض وأنها كانت موجودة قبل هذا التاريخ بكثير مما يوقع بعض الباحثين في لبس واعتقاد بوجود مدينة الرياض قبل التاريخ الذي ذكره الشيخ حمد الجاسر، ولعل أبرز هذه الإشارات ما يلي:

١- نقل ابن بشر عن العصامي في تاريخه (سمط النجوم العوالي بأخبار الأوائل والتوالي) قال: "وفي سنة ست وثمانين وتسعمائة سار الشريف حسن بن أبي نمي صاحب مكة إلى نجد وحاصر معكال المعروف في الرياض . . . "[٣] وبمراجعة هذا النص عند العصامي لم نجد للرياض ذكراً عنده مما يدل على أن هذه الإضافة من ابن بشر على اعتبار أن معكال كانت في زمنه حياً من أحياء مدينة الرياض.

٢- ذكر ابن بشر تحت عنوان سابقه ما يلي: "وفي سنة تسع وأربعين وألف توفي قاضي الرياض أحمد بن ناصر . . . "[٤] وقد أجاب الشيخ حمد الجاسر عن ذلك بأن المقصود هو بلدة مقرن وأن إطلاق اسم الرياض عليها هو من عند ابن بشر الذي عاش في فترة متأخرة كانت فيها مقرن داخلة في مدينة الرياض فأطلق عليها اسم الرياض.[٥]

---

(١) الجاسر، حمد، (١٣٨٦هـ)، مرجع سابق، ص٨٧.

(٢) الجاسر، حمد، (١٣٨٦هـ)، مرجع سابق، ص ص٩٠-٩٤.

(٣) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج١، ص٢٣.

(٤) المصدر السابق، ج١، ص٤٧.

(٥) الجاسر، حمد، (١٣٨٦هـ)، مرجع سابق، ص٩١.

٣- أشار ابن بشر إلى إجلاء أبناء دواس بن عبدالله بن شعلان وهم دهام وعبدالله ومشلب وتركي وفهد عن منفوحة ونزولهم الرياض واستوطنوه، وكان واليها زيد بن موسى. . . . إلخ[١] وهذه الإشارة إلى مدينة الرياض مثل سابقتيها من عند ابن بشر الذي أطلق اسم الرياض على بلدة مقرن باعتبار ما عليه الوضع في زمنه حيث كانت الرياض تضم بلدة مقرن كأحد أحيائها.

معالم مدينة الرياض في عهد الدولة السعودية الثانية:

في عهد الدولة السعودية الثانية تمت في مدينة الرياض عدة إصلاحات وأقيمت بعض المنشآت في عهد الإمام تركي بن عبدالله ومن خلفه حكام الدولة السعودية الثانية ومنها:

١- بناء سور لمدينة الرياض، أو إصلاح ما تهدم منه أو تأثر بالحروب والغزوات من السور القديم (سور دهام).[٢]

٢- قام الإمام تركي ببناء قصر حصين في داخل المدينة كان مقراً للإمام ومركزاً للحكم.

٣- قام الإمام تركي أيضاً ببناء مسجد قرب القصر. وقد أقيم في موضعه الآن الجامع الكبير بمدينة الرياض وأطلق اسم الإمام تركي بن عبدالله عليه. كما قام ابنه الإمام فيصل بن تركي بتوسيع المسجد وزخرفته ومد جسر علوي فصل بين المسجد وقصره.[٣]

ومن المعالم المهمة التي بقيت في مدينة الرياض إلى الآن من عهد الدولة السعودية الثانية حصن المسمك (المصمك) الذي بناه الإمام عبدالله بن فيصل بن تركي سنة ١٢٨٢هـ ليكون قلعة تحمي المدينة وقد استعمله الإمام عبدالله مقراً وسكناً له ولأسرته في بداية الأمر ثم اتخذه مقراً للحكم. والاسم الحقيقي لهذا القصر هو قصر المسمك وذلك لسمك أدواره وجدرانه الجانبية، ثم سمي بقصر المصمك بعد ما حرف العامة حرف (السين) إلى حرف (الصاد) فصار المصمك.

---

(١) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج١، ص٨٠.

(٢) كان دهام بن دواس أمير الرياض قد أقام سوراً منيعاً على أحياء مدينة الرياض القديمة المتناثرة وظل هذا السور قائماً إلى أن هدمه ابن رشيد سنة ١٣٠٩هـ. (ابن خميس، عبدالله بن محمد، (١٤٠٧هـ)، **تاريخ اليمامة**، ج٣، ص٢٩٨).

(٣) الرويشد، عبدالرحمن بن سليمان، (١٤١٢هـ)، **قصر الحكم في الرياض أصالة الماضي وروعة الحاضر**، د. ن.، ص ص٣٣، ٥١.

openkan.com

ومن أسماء هذا القصر (القلعة والحصن) وهذه التسمية تنطبق على وصف القصر تماماً فهو أنموذج للعمارة الحربية في ذلك العصر بجدرانه السميكة وأبراجه الأربعة الشائحة. ويقع قصر المصمك في منطقة الشميري في مدينة الرياض. ولا يزال قائماً إلى الآن معلماً أثرياً يحكي ملحمة دخول الرياض على يد الملك عبدالعزيز (رحمه الله) في الخامس من شهر شوال سنة ١٣١٩هـ/ ١٩٠٢م.[١]

أما تسميتها باسم الرياض فقد أطلق عليها هذا الاسم بسبب كثرة الأراضي المنخفضة والمتساوية التي كانت تسمى رياضاً في موضع البلد فسمي بها، أو بسبب وجود عدد من الروضات فيما حول الموضع مثل روضة القميعة وروضة السلي فجمع ذلك بعضه إلى بعض فقالوا الرياض (جمع روضة) ثم خصوا بهذا الاسم هذا الموضع بعينه، وقد أشار ابن خميس[٢] إلى موقع مدينة الرياض القديمة بين وادي الوتر البطحاء الذي يفيض في منطقة منخفضة مستوية يتخللها بعض الحزون والمرتفعات تقسمها إلى رياض ومستقرات للمياه تنبت في أرضها أنواع من النباتات فمن أجل ذلك سميت الرياض. وهكذا جاءت تسمية الرياض من طبيعة أرضها.

توحيد نجد:

انطلق الإمام تركي بن عبدالله من مدينة الرياض لتوطيد نفوذه في كل إقليم نجد، وكانت معظم منطقة الرياض قد دخلت تحت نفوذه ما عدا منطقة الدلم التي لم تخضع لسلطانه منذ توليه الحكم، فجعلها هدفه الأول، وجمع أتباعه من سدير، والوشم، والمحمل، والعارض، والفرع، والأفلاج، وقصد الدلم بهدف إخضاعها لنفوذه، وتوحيدها مع البلدان الخاضعة له، فتصدى له زعيم الدلم زقم بن زامل، فشدّد الإمام من حصاره للدلم، حتى طلب أهلها الصلح بشرط العفو عن زقم وجماعته، فأجابهم الإمام إلى طلبهم شريطة ذهاب زقم إلى الرياض، والاستيلاء على أمواله وخيله وسلاحه.[٣] ولما فرغ من الدلم، سار إلى السلمية واليمامة، حيث وطد نفوذه فيهما، وبذلك ضمن دخول هذه البلدان في إطار دولته. ثم دعا أهل اليمامة لمبايعته فبايعوه على السمع والطاعة، وعاد الإمام إلى الرياض في رمضان عام ١٢٤٠هـ/ ١٨٢٤م بعد أن دانت له كل منطقة الخرج.[٤]

---

(١) الكليب، فهد بن عبدالعزيز، (١٤١٠هـ)، **الرياض ماض تليد وحاضر مجيد**، الرياض، ص ص٩٦-٩٧.

(٢) ابن خميس، عبدالله بن محمد، (١٣٩٨هـ)، مرجع سابق، ج١، ص٤٩٠.

(٣) آل بسام، عبدالله بن محمد، (مخطوط)، مصدر سابق، ص رقم ١٢٣أ.

(٤) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص ص١٧-١٨.

وهكذا لم يمر عامان على جلاء قوات محمد علي عن نجد واستقرار الإمام تركي بن عبدالله في الرياض إلا وقد بايعته البلدان النجدية كلها. ومن الملاحظ أن تلك البلدان -باستثناء بعض بلدان الخرج- قد انضمت إلى دولته دون حرب. وهذا يدل على تطلع كثير من النجديين إلى زعامة تجمع شتاتهم وتحقق لهم الأمن والوحدة، كما يدل على تحلي الإمام تركي بن عبدالله بصفات قيادية عظيمة أثرت في نفوس كثير منهم زعامات وأتباعاً.(١)

وفي عام ١٢٤١هـ/ ١٨٢٠م وصل الشيخ عبدالرحمن بن حسن حفيد الشيخ محمد بن عبدالوهاب من مصر إلى الرياض، بناء على رغبة الإمام تركي بن عبدالله، وفرح الإمام بمقدمه وأكرمه غاية الإكرام، وحلّ محل جدّه محمد في إدارة الشؤون الدينية في الدولة، وإبداء المشورة في تسيير أمورها العامة.(٢)

ثم استأنف الإمام تركي بن عبدالله نشاطه لاستكمال توحيد نجد، وأول ما بدأ به مواجهة الأخطار التي كانت تهدد حكمه في تلك الفترة، وكان أشدها التحالف الذي قام ضده، الذي جمع بني خالد حكام الأحساء مع أهل العارض والمحمل وسدير من أجل تقويض نفوذ الإمام بمساعدة المناهضين لحكمه من أهل نجد والتحالف معهم، وقد تمكنت قوات الإمام تركي من هزيمة هذا التحالف والقضاء عليه، كما قام الإمام تركي بن عبدالله بنفسه في عام ١٢٤٣هـ/ ١٨٢٧م على رأس قوة للقضاء على تمرّد بادية هتيم في الوشم وبعض بدو الدواسر في القرائن والخرج فهزمهم وجمع منهم الزكاة. ثم اتجه على رأس قوة للإغارة على العجمان، عند بنبان وتمكن من الانتصار عليهم وإخضاعهم، ووفد عليه آنذاك عيسى ابن علي رئيس جبل شمر، وأعلن طاعته، وأرسل الإمام تركي إلى أمراء القصيم يطلب منهم إعلان الطاعة، فاستجابوا له.

ولم يبق أمام الإمام تركي من العناصر المتمردة سوى بعض عربان من مطير، كانوا يتلقون العون من بني خالد، فاتجه إلى الشمال لملاقاتهم، وأغار على السويقي وعربانه، وانتصر على هؤلاء العربان وأعوانهم من بني خالد، واستولى على ما معهم من أموال. وكان لتحركات الإمام تركي هذه تأثيرها

---

(١) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٢هـ)، مرجع سابق، ج١، ص٢٥١.

(٢) آل الشيخ، عبدالرحمن بن عبداللطيف، (١٣٩٢هـ)، **مشاهير علماء نجد وغيرهم**، دار اليمامة، الرياض، ص ص٥٨-٩٦؛ ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٢٠-٢١.

القوي على كثير من العربان، فقد وفد عليه رؤساء سبيع، والسهول، والعجمان ومطير، وقحطان، وأعلنوا ولاءهم "فأرسل معهم عمالاً يقبضون الزكاة". وبذلك أصبح نفوذ الإمام تركي شاملاً لمعظم البلدان والمناطق النجدية.(١)

وفي تلك الأثناء وفد عليه ابنه فيصل قادماً من مصر بعد أن تمكن من الهروب منها،(٢) حيث أصبح الساعد الأيمن لأبيه تركي في توطيد دعائم الدولة السعودية الثانية وتوسيع نفوذها. فقاد الجيوش في الغزوات، وشارك في إعداد الخطط وتنظيمها ورسمها، وعاون والده في الأمور السياسية والإدارية.(٣) وشارك فيصل والده في بعض العمليات التأديبية ضد بلدان الوشم وسدير، ثم قام فيصل بالإغارة على عربان الصقور من عنزة وانتصر عليهم.(٤)

وقد ترتب على التحركات التي شهدتها منطقة الرياض عامي ٤٣-١٢٤٤هـ/ ٢٧-١٨٢٨م ازدياد نفوذ الإمام تركي وبلغ درجة كبيرة من القوة، وبدأت المناطق الواقعة خارج حدود المنطقة، والتي كانت تابعة للدولة السعودية الأولى تتطلع إلى الانضواء تحت نفوذه، فتذكر المصادر أن أهل عمان أرسلوا إليه رجالاً من رؤسائهم، وطلبوا منه قبول ولائهم، وأن يعين لهم قاضياً ومعلماً، وأن يرسل معهم سريّة تشاركهم قتال عدوهم، حيث كانت منطقتهم واقعة تحت عمليات ضغط من جانب الإنجليز وسلطان مسقط من ناحية والصراعات المحلية بين قبائل المنطقة من ناحية أخرى، فاستجاب الإمام تركي بن عبدالله لمطلب أهل عمان.(٥)

وبذلك ازداد نفوذه وامتد إلى المناطق الواقعة خارج حدود منطقة الرياض شرقاً، وفي الغرب امتد إلى بلاد عتيبة القاطنين بنواحي مكة، فدفعوا له الزكاة، وامتنعوا عن دفعها لأمير مكة وأظهروا ميلاً عظيماً وانقياداً قلبياً إلى الإمام تركي. ولذلك أعدت حكومة الحجاز قوة من مكة وأخرى من الطائف لتأديب قبيلة عتيبة على موقفهم، وتمكنت هذه القوات من هزيمة هؤلاء الخارجين على طاعتها وإعادتهم

---

(١) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٢٦-٣٣.

(٢) الذكير، مقبل، (مخطوط)، مرجع سابق، ص ٣٧.

(٣) أبو علية، عبدالفتاح، (١٤٠١هـ)، مرجع سابق، ص ص٣٤-٣٥.

(٤) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص٣٣.

(٥) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص٣٣.

إلى نفوذها، ثم تقدمت القوات الحجازية إلى الشعراء لشن هجوم على القبائل القاطنة هناك والعمل على تهديد الإمام تركي عن قرب، ولكن هذه القوات تراجعت حيث ظهر لقادتها أن الإقبال على هذه الخطوة فيه مخاطرة كبيرة بالنسبة لهم.(١)

ولم يتصدَّ الإمام تركي بن عبدالله لهذه الحملة الحجازية على أطراف بلاده، كما كان متوقعاً، لأن سياسته في تلك الفترة كانت قائمة على أساس توطيد نفوذه في منطقة نجد، واسترداد المناطق الأخرى، التي كانت تابعة لأسلافه في منطقة الخليج، والابتعاد بقدر الإمكان عن الاصطدام المباشر بحكومة الحجاز. ويدل على ذلك أنه في الوقت الذي كان فيه الشريف محمد بن عون قائد القوات الحجازية يقوم بعملياته، كان الإمام تركي يتجه بقواته نحو الأحساء. وقد نجح في ضمها إلى دولته. ولم يكتف بذلك بل مد نفوذه إلى جميع المناطق الواقعة في الخليج كالبحرين وعمان وغيرهما.(٢)

ولقد كان النجاح الذي حققه الإمام تركي بن عبدالله في منطقة الخليج، وازدياد نفوذه فيها مصدر إزعاج لحاكم عام الحجاز، وخشي من أن يقوم الإمام بعمل مماثل على جبهة الحجاز، فسارع بإرسال تفاصيل العمليات التي قام بها الإمام تركي في الحجاز إلى محمد علي في القاهرة، وطلب منه أن يأذن له في القيام ببعض العمليات الحربية ضده، لكن محمد علي لم يأذن له لانشغاله بحروبه خارج الجزيرة العربية، والقضاء على ثورة عسير.(٣)

وهكذا كانت حكومة الحجاز كارهة لامتداد نفوذ الإمام تركي خارج حدود نجد، وظل الإمام تركي يتصرف في دولته تصرف الحاكم القوي المستقل، لكنه لم يحاول أن يتحدى الدولة العثمانية أو حكومة محمد علي بالتعرض للمناطق الحساسة كالحجاز.(٤)

نهاية عهد الإمام تركي بن عبدالله:

كان مشاري بن عبدالرحمن آل سعود -ابن أخت الإمام تركي- مع من أخذ من أفراد الأسرة السعودية إلى مصر بعد سقوط الدرعية، وكان خاله يقدرّه غاية التقدير ويراسله في منفاه، وقد حثه على

---

(١) عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٩٨١م)، مرجع سابق، ص ص٢٥٥-٢٥٧.

(٢) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٢هـ)، مرجع سابق، ج١، ص ص٢٢٠-٢٢١.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٢٢.

(٤) عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٩٨١م)، مرجع سابق، ص ص٢٥٠-٢٥١، ٢٦٠-٢٦١.

القدوم إليه في نجد. فهرب مشاري من مصر وقدم إلى الرياض عام ١٢٤١هـ/ ١٨٢٥م، فأكرمه الإمام تركي وولاه منفوحة، لكنه عزل عن إمارة هذه البلدة عام ١٢٤٥هـ/ ١٨٢٩م، إثر وشاية دارت حوله بأنه يتآمر مع آخرين على الإطاحة بخاله عن الحكم. وفي السنة التالية لعزله خرج مشاري من الرياض ثائراً ضد خاله. لكنه فشل فشلاً ذريعاً، ولم يجد من ينصره.(١)

ولذلك توجه إلى الحجاز طالباً العون من الشريف محمد بن عون أمير مكة، ولكن الأخير لم يستجب لطلبه ولم يمد له يد العون. وذلك في إطار السياسة التي رسمها محمد علي لحكومة الحجاز والقاضية بعدم القيام بأي عمل ضد الإمام تركي في تلك الفترة، لأن الدخول في مواجهة مع الإمام تركي داخل نجد يحتاج إلى استعداد وقوات كثيرة لا تسمح ظروف محمد علي بإعدادها وتجهيزها في ذلك الوقت.(٢)

ومعنى هذا أن أي مواجهة مع الإمام تركي سيكون الفشل مصيرها المحتوم. ولذلك قرّر مشاري العودة إلى الرياض، والاعتراف بذنبه، وطلب العفو من الإمام، ووّسط رؤساء بلدة المذنب في القصيم، فاستجاب الإمام للوساطة وعفا عن مشاري وأكرمه غاية الإكرام.(٣)

على أن طموح مشاري بن عبدالرحمن إلى الحكم ظلّ مسيطراً على مشاعره. ولذلك استغل وجود فيصل بن تركي بقواته في شرق الجزيرة العربية للقضاء على التمرّد الذي حدث هناك، وقام بتدبير مؤامرة اغتيال خاله مع مجموعة من رجاله وخدمه. وكان ذلك بعد صلاة الجمعة في آخر يوم من عام ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٤، وأسرع مشاري بالاستيلاء على قصر الحكم في الرياض، وعلى الخزائن والأموال والسلاح، وأرسل الرسل إلى البلدان ليأخذوا له البيعة من الأهالي.(٤) وهكذا انتهى عهد الإمام تركي مؤسس الدولة السعودية الثانية.

---

(١) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٢هـ)، مرجع سابق، ج١، ص٢٢٣.

(٢) عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٩٨١م)، مرجع سابق، ص٣٨٢.

(٣) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص٣٨.

(٤) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٤٩-٥٠.

إلى نفوذها، ثم تقدمت القوات الحجازية إلى الشعراء لشن هجوم على القبائل القاطنة هناك والعمل على تهديد الإمام تركي عن قرب، ولكن هذه القوات تراجعت حيث ظهر لقادتها أن الإقبال على هذه الخطوة فيه مخاطرة كبيرة بالنسبة لهم.(١)

ولم يتصدَّ الإمام تركي بن عبدالله لهذه الحملة الحجازية على أطراف بلاده، كما كان متوقعاً، لأن سياسته في تلك الفترة كانت قائمة على أساس توطيد نفوذه في منطقة نجد، واسترداد المناطق الأخرى، التي كانت تابعة لأسلافه في منطقة الخليج، والابتعاد بقدر الإمكان عن الاصطدام المباشر بحكومة الحجاز. ويدل على ذلك أنه في الوقت الذي كان فيه الشريف محمد بن عون قائد القوات الحجازية يقوم بعملياته، كان الإمام تركي يتجه بقواته نحو الأحساء. وقد نجح في ضمها إلى دولته. ولم يكتف بذلك بل مد نفوذه إلى جميع المناطق الواقعة في الخليج كالبحرين وعمان وغيرهما.(٢)

ولقد كان النجاح الذي حققه الإمام تركي بن عبدالله في منطقة الخليج، وازدياد نفوذه فيها مصدر إزعاج لحاكم عام الحجاز، وخشي من أن يقوم الإمام بعمل مماثل على جبهة الحجاز، فسارع بإرسال تفاصيل العمليات التي قام بها الإمام تركي في الحجاز إلى محمد علي في القاهرة، وطلب منه أن يأذن له في القيام ببعض العمليات الحربية ضده، لكن محمد علي لم يأذن له لانشغاله بحروبه خارج الجزيرة العربية، والقضاء على ثورة عسير.(٣)

وهكذا كانت حكومة الحجاز كارهة لامتداد نفوذ الإمام تركي خارج حدود نجد، وظل الإمام تركي يتصرف في دولته تصرف الحاكم القوي المستقل، لكنه لم يحاول أن يتحدى الدولة العثمانية أو حكومة محمد علي بالتعرض للمناطق الحساسة كالحجاز.(٤)

كان مشاري بن عبدالرحمن آل سعود -ابن أخت الإمام تركي- مع من أخذ من أفراد الأسرة السعودية إلى مصر بعد سقوط الدرعية، وكان خاله يقدرّه غاية التقدير ويراسله في منفاه، وقد حثه على

---

(١) عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٩٨١م)، مرجع سابق، ص ص٢٥٥-٢٥٧.

(٢) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٢هـ)، مرجع سابق، ج١، ص ص٢٢٠-٢٢١.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٢٢.

(٤) عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٩٨١م)، مرجع سابق، ص ص٢٥٠-٢٥١، ٢٦٠-٢٦١.

المبحث الثاني

منطقة الرياض في الفترة الأولى من حكم الإمام فيصل بن تركي

بعد استشهاد الإمام تركي بن عبدالله، استطاع خادمه الهروب من الرياض، قاصداً الأحساء ليبلغ الإمام فيصل -الذي كان على رأس حملة في الأحساء- بتفاصيل حادث مقتل والده واستيلاء مشاري ابن عبدالرحمن على مقاليد الأمور في الرياض، وكان مع الإمام فيصل جماعة من رؤساء بلدان نجد، فأخبرهم بما حدث، وطلب منهم البيعة والنصرة والأخذ بالثأر، فبايعوه على ذلك. واستقر رأي الجميع على العودة بسرعة إلى الرياض لانتزاع الحكم من مشاري بن عبدالرحمن.(١)

وفي ليلة التاسع عشر من محرم عام ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٣م وصل الإمام فيصل إلى الرياض، وأمر رجاله بدخول البلدة، فدخلوها سراً، واستطاعوا الاستيلاء على جميع بروجها وأماكن تحصينها في غفلة من مشاري بن عبدالرحمن ورجاله، فأسرع مشاري وتحصن بالقصر، وكان واضحاً منذ البداية أن كفة فيصل هي الراجحة، لأن سكان الرياض كانوا متعاطفين معه؛ لمكانة والده بينهم، وللأثر العميق الذي أحدثه أمر اغتياله في نفوسهم، ويدل على ذلك أن من وضعوا في بروج سور مدينة الرياض للدفاع عنها فرحوا برؤية أتباع الإمام فيصل وساعدوهم على الدخول إليها.(٢)

تولى الإمام فيصل بنفسه إدارة المعركة ضد مشاري ومن معه، واستمر القتال ليلاً ونهاراً، حتى اضطر الرجال الذين كانوا في القصر إلى طلب الأمان من الإمام فيصل في ٩ صفر عام ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٣م عن طريق سويد بن علي، رئيس جلاجل، الذي كان موجوداً بالقصر، وقام سويد بطلب ذلك من فيصل، على ألا يمنح الأمان لمن شارك في قتل الإمام تركي، أو ساعد في قتله، فاستشار الإمام فيصل الرؤساء الذي كانوا معه، فوافقوا، حماية لما في القصر من المال والخزائن، فأعطاهم الإمام فيصل الأمان.(٣)

---

(١) الذكير، مقبل، (مخطوط)، مرجع سابق، ص ٤٢.

(٢) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٥٠-٥١.

(٣) عبد الرحيم، عبدالرحيم عبد الرحمن، (١٩٨١م)، مرجع سابق، ص٢٧٨.

وتمكن أتباع فيصل من دخول القصر، وقتلوا مشاري وأعوانه، ودخل الإمام فيصل القصر بعد أربعين يوماً فقط من اغتيال والده. وبعد أن استقر المقام بفيصل في الرياض كتب إلى قضاته أن يأتوا إليه في الرياض، فجاؤوه، وأقاموا عنده أكثر من شهر، فأكرمهم وأظهر توقيرهم واحترامهم، ورسم لهم خلال إقامتهم برنامجه في الحكم، ثم وجه رسالة إلى الدرعية أوضح لهم فيها برنامجه في الحكم، وحثّهم على الطاعة والإخلاص، وأداء الزكاة واتباع قواعد الشريعة، ونبّه الأمراء على أن يكونوا عوناً للرعية، عاملين على حفظ أرواحهم وأموالهم. ثم أخذت الوفود من مختلف البلدان التي كانت تابعة لأبيه تصل إليه معلنة ولاءها وتأييدها، فأقرهم وأعطاهم وحباهم وكساهم. وأقر القضاة على أعمالهم، وأذن لهم في الرجوع إلى بلدانهم، وأمر عمال الزكاة أن يخرجوا مع رؤساء القبائل الذين وفدوا إليه لجبايتها من قبائلهم.(١)

وبذلك استقر الأمر للإمام فيصل في الرياض وبدأ يمارس سلطاته، ويواجه أحداث المنطقة، والاضطرابات التي كانت تموج بها بعض البلدان. حيث إن الأمور لم تسر وفق ما كان يتمناه، لا من حيث الاستقرار الداخلي ولا من حيث تأدية الزكاة إلى حكومته. فلقد حدث خلاف بين أهل وادي الدواسر، وكان على الإمام فيصل أن يضع حداً لمثل هذه الاضطرابات، ولذا جمع قوة من أهالي البلدان النجدية ووضعها تحت قيادة حمد بن عياف الذي ذهب إلى المنطقة لإنهاء الخلاف الذي حدث بين سكانها، وتمكنت تلك القوة من القيام ببعض الأعمال التأديبية ضد مثيري الشغب، جاء بعدها بعض أهل الوادي إلى الرياض وبايعوا الإمام فيصل، وظل البعض على عنادهم، وامتنعوا عن دفع الزكاة لحكومة الرياض، فسار إليهم الإمام على رأس قوة وهاجمهم في أرض العرمة، ثم نزل قرب بلد تمير، حيث اجتمعت له قواته في هذا الموضع، وبذلك أدرك المعارضون مدى قوته، وأصبحوا على استعداد للإذعان له أكثر من ذي قبل. ثم اتجه الإمام بمن معه إلى عالية نجد وأقام فيها نحو أربعين يوماً حول بلدة الشعراء، وبعث بعماله يقبضون الزكاة من العربان، وعاقب من امتنع عن دفعها، وهناك وفد عليه رؤساء قبائل مطير وقحطان، وغيرها، كما وفد إليه زعماء وادي الدواسر طالبين الصفح والعفو عما بدر منهم وبايعوه على السمع والطاعة، فأجابهم إلى طلبهم وأرسل معهم أميراً.(٢)

---

(١) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٦٣-٦٦.

(٢) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٦٦-٦٧.

محمد علي والإمام فيصل بن تركي:

وما كاد الأمر يستقر للإمام فيصل بن تركي حتى داهمه خطر أشد وأقوى، تمثّل في تطلّع محمد علي إلى المناطق التي يسيطر عليها الإمام في نجد والمناطق الشرقية من الجزيرة العربية. حيث إن الموقف بين السلطان العثماني ومحمد علي قد تأزم إلى درجة بالغة، ونجح محمد علي في الاستيلاء على بلاد الشام، وشجعه ذلك على التوسع، وولى وجهه صوب الجزيرة العربية مرة أخرى، محاولاً الاستيلاء عليها وتطويق العثمانيين في العراق من الجنوب عبر الخليج العربي ومن الغرب حيث قد استولى على الشام.

وكان نجاح الإمام فيصل بن تركي في فرض سيطرته على نجد والمناطق الشرقية من الجزيرة مما يعوق توسعات محمد علي وتطلعه إلى بسط نفوذه على تلك المناطق، ولذا فإنه أراد في البداية أن يختبر الإمام فيصل ويقف على حقيقة أهدافه ومدى تقبله لفكرة الولاء له، فأرسل إليه دوسري بن عبدالوهاب أبو نقطة ليطلب منه تزويد الجيش المصري ببعض اللوازم، ودفع الخراج عن منطقة نجد، وجاءت مطالب محمد علي هذه عن طريق حكومة الحجاز.[١]

ويبدو أن الإمام فيصل قد أدرك بأنه من الصعب عليه تعزيز موقف خصمه وزيادة قوّته الحربية التي قد تستعمل ضده مستقبلاً، أو تستغل في ضرب ثورة أهل عسير، التي كانت مشتعلة في ذلك الوقت ضد محمد علي. خصوصاً وأن زعماء عسير كانوا على علاقة طيبة بالإمام ومن أشد المتحمسين لمبادئ الدعوة الإصلاحية.[٢] ولكن الإمام فيصل رأى أن من المصلحة تجنب عداء محمد علي، واستحسن أن يرسل أخاه جلوي مزوداً بالهدايا إلى أحمد باشا يكن حاكم عام الحجاز، معرباً عن حسن نواياه ورغبته في إقامة علاقة طيبة، وأبدى جلوي استعداده لمد حكومة محمد علي ببعض ما طلبته من الإبل، وأقام جلوي في مكة إلى ما بعد انتهاء موسم الحج لعام ١٢٥١هـ/ ١٨٣٥م، ولكن حاكم الحجاز اعتبر عدم وفاء الإمام فيصل بما طلب منه تمرداً، وامتناعاً عن الولاء ويجب محاربته لعدم طاعته.[٣] وهكذا لم تكن مطالب محمد علي في حقيقة الأمر إلا ذريعة للقيام بحملة عسكرية كان قد أعدّ لها للاستيلاء على نجد وما يتبعها من المناطق.

---

(١) عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٩٨١م)، مرجع سابق، ص٢٨٢.

(٢) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٢هـ)، مرجع سابق، ص٢٥٢.

(٣) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٦٨-٦٩.

ولكي تنجح الحملة، وحتى لا تثار الشكوك حول نوايا محمد علي التوسعية في تلك المنطقة، عمد إلى الدخول إلى منطقة نجد هذه المرة خلف واجهة شرعية، لتنصيب خالد بن سعود[١] حاكماً عاماً على البلاد، مدعياً أحقيته بذلك ليتفرق أهل نجد بين مؤيد للإمام فيصل بن تركي وبين خالد بن سعود، وبذلك تسهل مهمة قوات محمد علي في الاستيلاء على تلك المنطقة، وحتى لا يثير محمد علي بغزوه لنجد معارضة كل من الدولة العثمانية أو بريطانيا بحجة أن دخوله إلى تلك المنطقة جاء بدعوة من أحد أفراد الأسرة السعودية.

أعدّ محمد علي حملة قوية تحت قيادة إسماعيل بك، وخالد بن سعود للاستيلاء على نجد، والقضاء على حكم الإمام فيصل وتنصيب خالد مكانه. وحينما علم الإمام فيصل بخبر وصول الحملة إلى ينبع، أرسل إلى إسماعيل بك وخالد بن سعود رسولاً مزوداً بالهدايا لإظهار حسن النوايا وتفادي الصدام، محاولاً الوصول معهما إلى حل سلمي، ولكن المحاولة باءت بالفشل. وواصل جيش محمد علي زحفه إلى المدينة المنورة ومنها إلى الحناكية متجهاً إلى القصيم ومنها إلى الرياض.[٢]

ولذلك استقر رأي الإمام فيصل ورفاقه على التوجه إلى القصيم للحيلولة دون استيلاء قوات محمد علي عليها، واستنفر الإمام قواته من الأحساء والجنوب والوشم وسدير وغيرهم، وخرج من الرياض في أول شوال عام ١٢٥٢هـ/ ١٨٣٦م، وأقام بقواته قرب بلدة التنومة، وظل فيها أكثر من شهر يعدّ عدته ويرتب أمور جنده.[٣] ولما علم أن الجيش المصري وصل إلى بلدة الرّس، توجه الإمام فيصل بقواته إلى بلدة عنيزة، واستنفر أهلها، فسار معه أميرها واتجهوا إلى بريدة، حيث استنفر الإمام أهلها، وتحركت القوات إلى رياض الخبراء، واستقرت في هذا الموضع أكثر من عشرين يوماً دون أن يحدث قتال.

وأصبحت القوتان النجدية والمصرية وجهاً لوجه إلا أن الإمام فيصل درس موقفه فوجده أضعف من حيث القوات والعدد، خاصة وأن بعض بلدان الشمال أطاعت القائد المصري خوفاً من نتائج الحروب

---

(١) هو أخو الإمام عبدالله بن سعود، آخر حكام الدولة السعودية الأولى، وكان من ضمن آل سعود الذين حملهم إبراهيم باشا بعد سقوط الدرعية إلى القاهرة وظل فيها مدة ١٨ عاماً، أنعم عليه محمد علي برتبة قائمقام وخصص له راتباً قدره ٢٥٠٠ قرش عثماني، واختاره محمد علي ليعمل تحت اسمه في نجد، ولذلك كانت سلطته فيها اسمية. انظر: أبو علية، عبدالفتاح، (١٤٠١هـ)، مرجع سابق، ص ص٦٦-٦٧.

(٢) آل بسام، عبدالله، (مخطوط)، مرجع سابق، ص ١٣٢ب.

(٣) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص٧٠.

لأن أراضيهم ستصبح ميداناً للقتال، فرأى الإمام فيصل بعد استشارة رجاله، أن خير وسيلة له هي العودة إلى الرياض لتحصينها وتنظيم المقاومة فيها. وجمع كل ما يمكن جمعه من المؤن والعتاد والرجال للدفاع عنها.(١)

لكن الأمور في الرياض كانت عكس ما توقعه الإمام فيصل تماماً، فقد لاحظ من بعض رجاله الميل إلى الاستسلام، والعزوف عن المقاومة، حيث أظهروا له عدم استعدادهم لمواجهة قوات محمد علي.(٢) وكان لهذا الموقف عدة أسباب:

١- كره أهالي الرياض للحروب التي تذكرهم بحملة إبراهيم باشا على الدرعية عام ١٢٣٣هـ/ ١٨١٧م، وما صاحبها من دمار وخراب.

٢- ظهور الأمير خالد بن سعود على مسرح الأحداث، ووجود بعض المؤيدين له.

٣- تدهور القوة العسكرية السعودية وضعفها، وذلك حينما رأى أهالي الرياض فشل قوات الإمام فيصل في مقاومة الحملة المصرية في القصيم.(٣)

أصدر الإمام فيصل إلى جماعته الذي ظلوا على ولائهم له تعليمات تقضي بخروجهم من الرياض سراً بعد أخذ كل ما يستطيعون حمله، كما قام هو بحمل أمواله وسلاحه واتجه إلى الخرج ومنها إلى الأحساء، حيث استقبله أميرها عمر بن عفيصان وأعيان البلدة، وبايعوه على النصر، ونزل قصر الكوت واستقر في الأحساء.(٤)

أما قوات المعتدي فتقدمت إلى عنيزة فور مغادرة الإمام لها، وتمكنت من الاستيلاء عليها صلحاً، ثم دخلت بقية بلدان القصيم تحت طاعتها، وبينما كان إسماعيل بك والأمير خالد في عنيزة قدمت إليهما وفود من بلدان نجدية مختلفة معلنة ولاءها. ومن بين هذه الوفود أناس من أهل الرياض ذاتها، وبدا أن كثيراً من سكان المنطقة يؤيدون الجيش المصري الغازي، أو على الأقل لا يعارضونه، ثم توجه

---

(١) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٧٥-٧٩.

(٢) الذكير، مقبل، (مخطوط)، مرجع سابق، ص ٤٤.

(٣) السعدي، حصة أحمد عبدالرحمن، (١٤١٦هـ)، **الدولة السعودية الثانية وبلاد غرب الخليج وجنوبه**، مكتبة العبيكان، الرياض، ص٦٥.

(٤) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٧١-٧٢.

الجيش إلى الرياض فدخلها دون قتال في صفر عام ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م.[١]

وبعد أن أصبحت الرياض وجميع البلدان النجدية الواقعة غربها وشمالها تحت نفوذ الجيش المصري، أراد خالد بن سعود أن يسيطر على بلدان جنوبي نجد، حيث رفض أهل الحلوة، والحريق، وحوطة بن تميم، الخضوع للحملة المصرية بعد وصولها للرياض. ولقد شجعهم على موقفهم هذا أفراد من أسرة آل الشيخ كانوا قد تركوا الرياض وقت دخول القوات المصرية إليها، وانتقلوا إلى منطقة جنوب نجد فراراً من حكم العثمانيين. وقد أرسل خالد بن سعود إلى أهل الحريق والحوطة يدعوهم إلى الدخول في طاعته، فكتبوا له "إن كان الأمر لك ولا يأتينا من ناحيتنا عسكر من الترك العثمانيين، فنحن رعية لك، وإن كان الأمر للترك العثمانيين، فنحن لهم محاربون". ولما قرأ إسماعيل آغا الكتاب غضب غضباً شديداً وصمم على حربهم، وإخضاعهم بالقوة، وزحف بقوات تقدر بسبعة آلاف مقاتل من الجند النظامي والمتطوع. لكن أهالي جنوب نجد تمكنوا من إنزال هزيمة ساحقة بهذا الجيش قرب بلدة الحلوة، وعاد الجيش المنهزم بفلوله إلى الرياض.[٢]

وشاعت أخبار هزيمة خالد بن سعود ومن معه في نجد والأحساء، وغيرها من بلدان الجزيرة، ولما علم الإمام فيصل بن تركي بهذه الهزيمة، جمع قواته وتوجّه مسرعاً من الأحساء إلى الخرج. وكتب إلى أهل الحوطة والحريق فأتوا إليه واتحدت قواته مع قوات أهالي الجنوب، ثم زحف الإمام بالجميع حتى وصل قرب الرياض، وخرج إليه خالد بن سعود مع جيش محمد علي، واشتبك الجيشان في قتال مرير انتهى بانتصار فيصل وتقدم جيوشه إلى الرياض ومحاصرتها في جمادى الآخرة عام ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م. ولما طالت مدة الحصار ولم تستسلم البلدة، فكر أتباع الإمام فيصل في تسلق سورها والنزول إلى داخلها، وكادت الرياض أن تسقط في يد الإمام فيصل، إلا أن الإمدادات الجديدة التي وصلت خالد بن سعود من بعض قبائل نجد المؤيدة له كسبيع وقحطان، اضطرت الإمام فيصل وجيشه إلى فك الحصار عن الرياض والتراجع إلى منفوحة.[٣]

(١) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٢هـ)، مرجع سابق، ج١، ص ص٢٤٥-٢٤٦.

(٢) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٧٢-٧٤؛ الفاخري، محمد بن عمر، (د. ت.)، **الأخبار النجدية**، دراسة وتحقيق وتعليق عبدالله بن يوسف الشبل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ص١٧٣.

(٣) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٧٤-٧٦؛ الفاخري، محمد بن عمر، مصدر سابق، ص١٧٤.

وبُذلت المساعي لعقد صلح بين الطرفين، وعُقد اجتماع طويل بين خالد بن سعود والإمام فيصل بن تركي من الظهر حتى العصر على أرض محايدة بين الرياض ومنفوحة، ولكن الاجتماع لم يسفر عن نتيجة حاسمة، وكانت نقطة الخلاف الرئيسة أن أهل نجد لا يرضون بحكم العثمانيين ولا من يواليهم، وكان هذا رأي الإمام فيصل، أما خالد بن سعود فقد طلب من الإمام الانسحاب من نجد، على أن تبقى تحت حكمه هو ومن معه من العساكر، وأن يقنع الإمام فيصل بحكم الأحساء، ولكن الإمام فيصل أصر على انسحاب القوات المصرية من الرياض إلى مكة، فرفض خالد أن يبقى أعزل بدون قوة تسانده، وأصر كل طرف على موقفه، وفشلت محاولة الصلح بين الطرفين واستعد كل منهما لاستئناف الصراع المسلح من جديد. (١)

وكانت الهزيمة الساحقة التي منيت بها قوات إسماعيل بك وخالد بن سعود، قد أثرت تأثيراً بالغاً في نفسية خالد وأصابته باليأس، ولذلك أرسل إليه أحمد باشا يكن، حاكم عام الحجاز يشجعه، ويؤكد له أن الإمدادات الكافية لتثبيت أقدامه وتقوية مركزه ستصل إلى نجد قريباً، كما وجّه أحمد باشا يكن إلى أهالي نجد خطاباً حاد اللهجة متوعداً ومهدداً. وعكف محمد علي وابنه إبراهيم على دراسة التقرير الذي أرسله إسماعيل بك عن وضعه السيء في نجد، واتخاذ التدابير الكافية لإنقاذ الموقف. (٢)

ولذلك قرر محمد علي تعزيز قواته في نجد، فأرسل خورشيد باشا بقوات كثيفة عسكرت في بلدة الرس في القصيم، وكانت قد سبقتها نجدات أرسلت من المدينة إلى الرياض، وتجدد القتال بين الطرفين حول الرياض مرة أخرى، ولذلك بدأ خورشيد في خداع الإمام فيصل بن تركي حتى يتمكن منه، ويسيطر على الموقف، فأرسل إليه الشريف عبدالله شريف من ينبع مزوداً بهدايا وآذناً له بأن يأخذ ما أراد أخذه من ممتلكاته الموجودة في الرياض، مقابل الانسحاب من نجد، وإنهاء حالة الحرب والاقتناع بحكم الأحساء. (٣) ومن الواضح أن هدف خورشيد من ذلك العرض كان لكسب الوقت حتى يصل إلى العارض قبل أن ينال الإمام فيصل من خالد ما ينال. (٤)

---

(١) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، مصدر سابق، ج٢، ص٧٦؛ عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٩٨١م)، مرجع سابق، ص٢٩٨.

(٢) عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٩٨١م)، مرجع سابق، ص ص٢٩١-٢٩٧.

(٣) المرجع السابق، ص٢٩٩.

(٤) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٢هـ)، مرجع سابق، ج١، ص٢٤٠.

واستجاب الإمام فيصل في بادئ الأمر لداعي الصلح، وحمل جميع ما له في الرياض من خزائن وغيرها، وأبلغ أعوانه أنه قرر أن يغادر الرياض في ثلاثة أو أربعة أيام، وانسحب إلى منفوحة، ومن هناك أرسل أخاه جلوي بن تركي بالهدايا لمقابلة خورشيد في المدينة المنورة، وبقي جلوي مع خورشيد في مسيرته من المدينة المنورة حتى وصل القصيم، إلا أن الأمير جلوي هرب من عنيزة وذلك بعد أن عرف موقف خورشيد باشا من أخيه الإمام فيصل،[١] وارتحل الإمام فيصل من منفوحة واتجه إلى الدلم بالخرج، وهناك أعاد مراجعة موقفه بعد أن أخذ مشورة أعوانه، حول قبوله حكم الأحساء فقط دون نجد، ووجد إغراء بعض أتباعه له -وبخاصة من أسرة آل عفيصان- هوى في نفسه، واقتنع الإمام فيصل بأن هذا الوعد له من جانب خورشيد ما هو إلا خديعة مؤقتة لإبعاده عن نجد، ثم القضاء عليه نهائياً بعد أن يستقر الأمر لخورشيد في نجد، ولذلك أعاد الإمام فيصل ترتيب موقفه في الدلم وأرسل من قبله أمراء على نواحي الأحساء، وعمان، ووادي الدواسر، والأفلاج، أي أنه عمل على الاحتفاظ بالمناطق الجنوبية من نجد تحت نفوذه إلى جانب الأحساء والساحل العماني.[٢]

وانتهزت الدولة العثمانية الفرصة وأوحت إلى علي باشا واليها على بغداد بالاتصال بالإمام فيصل ابن تركي وتشجيعه على الاستمرار في حركته المناهضة لتقدم قوات محمد علي في نجد، ولذلك أرسل والي بغداد إلى الإمام فيصل يحثه على إعلان ولائه للدولة العثمانية حتى يحفظ إمارته، وأنه على استعداد لتقديم العون له كافة، إذا ما أعلن ولاءه للدولة العثمانية.[٣]

ازدادت شكوك خورشيد باشا بعد أن علم برسالة والي بغداد إلى الإمام فيصل، خاصة وأن الإمام قد تقاعس عن تنفيذ ما طلب منه، وأخذ يعد الأمر للمعاندة والحرب، ولذلك وجد خورشيد المبرر لتقدم قواته نحو الرياض. وسواء أكان هذا المبرر كافياً أم لا، فإن تقدم خورشيد بقواته إلى الرياض والاستيلاء على نجد والمنطقة الشرقية كان ضمن خطة محمد علي التوسعية لمحاولة الوصول إلى الخليج العربي لتطويق العراق ومهاجمته من الجنوب بعد أن نجحت قواته في ذلك الوقت في الاستيلاء على بلاد الشام والأناضول مهددة الدولة العثمانية بالسقوط.

---

(١) الذكير، مقبل، (مخطوط)، مرجع سابق، ص ٤٥.

(٢) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٧٧-٨١.

(٣) عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٩٨١م)، مرجع سابق، ص ص٣٠١-٣٠٢.

تقدمت قوات خورشيد من الحناكية إلى القصيم، واستقر خورشيد في عنيزة حوالي خمسة أشهر، وفد إليه خلالها كثير من زعماء القبائل الكبيرة معلنين ولاءهم له والدخول في طاعته، كما وفد إليه الأمير عبدالله بن رشيد ونال تقديره وهداياه.[١] ومن عنيزة تقدمت قوات خورشيد نحو الرياض، فلما وصلها أفصح عن نواياه الحقيقية تجاه الإمام فيصل بن تركي، وأنذره بأنه سيحاربه إن لم يستسلم له، ورفض الإمام أن يستسلم، فكانت الحرب.

وكان جلوي بن تركي قد وقف على حقيقة الاستعدادات التي تجري ضد أخيه، ورغب في إطلاعه عليها حتى يعدّ للأمر عدته، ونجح في الوصول إلى أخيه في الخرج، وأوضح له حقيقة نوايا خورشيد والاستعدادات التي تجري على قدم وساق للقضاء عليه.[٢]

دارت عدة معارك بين القوتين في جهة الدلم، وكان النصر في النهاية لخورشيد ومن معه، واضطر الإمام فيصل أن يقابل خورشيد لإنهاء الحرب. واتفقا على أن يؤمن أتباع الإمام، وأن يسافر هو وأخوه جلوي وولداه عبدالله ومحمد وابن أخيه عبدالله بن إبراهيم إلى مصر للإقامة فيها، وهكذا انتهت فترة حكم الإمام فيصل بن تركي الأولى في أواخر رمضان عام ١٢٥٤هـ،[٣] والتي لم تتجاوز أربع سنوات، قضاها الإمام في الحروب الداخلية من أجل توطيد حكمه، وتثبيت دعائم الدولة السعودية.

أوضاع البلاد بعد الفترة الأولى من حكم الإمام فيصل بن تركي:

١- انسحاب قوات محمد علي وأثره على الأوضاع في منطقة الرياض:

بعد استسلام الإمام فيصل بن تركي لخورشيد باشا، بدأ خورشيد يخطط للاستيلاء على منطقة الأحساء المهمة، تمهيداً لغزو العراق، وأصبحت السيادة الاسمية على بلدان نجد لخالد بن سعود، والأمر والنهي لقوات محمد علي، وعمل خورشيد باشا على بسط نفوذ محمد علي على كل المناطق التي كانت تابعة لنفوذ آل سعود، لذلك أرسل إلى حاكم الأحساء ورؤسائها عارضاً عليهم الأمان مقابل دخولهم

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر: العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١١هـ)، **نشأة إمارة آل رشيد**، ط٢، مطابع الشريف، الرياض، ص ص١٤٥-١٥٦.

(٢) عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٩٨١م)، مرجع سابق، ص ص٣٠١-٣٠٢.

(٣) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت)، مصدر سابق، ج٢، ص٨٤.

في طاعته.[١] وإدراكاً من عمر بن عفيصان لقوة خورشيد باشا وعدم ثقته في الأمان الذي أعطاه، أو لعدم رغبته في الانضواء تحت لوائه ترك الأحساء وتوجّه إلى البحرين، حيث التجأ عند آل خليفة، ومنها توجه إلى الكويت، وقد سهل ذلك الطريق أمام خورشيد لضم الأحساء دون حرب تحت نفوذه، ولذلك عين خورشيد أحمد السديري أميراً على إقليم الأحساء،[٢] ووفد رؤساء الأحساء على خورشيد فأعطاهم الأمان وأذن لهم في العودة إلى بلادهم، وأعلن كل من أمير القطيف وسيهات ولاءهما، وبذلك خضعت المنطقة الشرقية كلها لنفوذ محمد علي.[٣]

ونتيجة لاستيلاء خورشيد باشا على المنطقة الشرقية أصبح الباب مفتوحاً له على بقية جهات الخليج وعمان، مما أثار مخاوف بريطانيا بدرجة كبيرة، فبدأت العمل على تحطيم قوات محمد علي التي باتت تهدد مصالحها في منطقة الخليج العربي، والشرق الأوسط -طريقها إلى الهند- وما كانت بريطانيا لتسمح لأي قوة كانت محلية أو خارجية بالسيطرة على تلك المناطق، ومن ثم عملت على القضاء على قوة محمد علي وأرغمته على سحب قواته من بلاد الشام وشبه الجزيرة العربية بموجب معاهدة لندن ١٥ جمادى الأولى ١٢٥٦هـ (١٥ يونيو ١٩٤٠م).[٤]

وبذلك لم تطل إقامة قوات محمد علي في منطقة الرياض بل انسحبت إلى الحجاز فمصر، تاركة مع خالد بن سعود حامية صغيرة يتراوح عددها بين ٢٠٠-٣٠٠ جندي احتياطي.[٥]

وكان لانسحاب قوات محمد علي أثر كبير على موقف خالد بن سعود، فلقد حدثت عدة مشكلات كان أبرزها المشكلة التي قامت بين عبدالله بن رشيد زعيم جبل شمر، وزعماء القصيم برئاسة عبدالعزيز آل عليان أمير بريدة، والتي تطورت إلى معركة انتصر فيها عبدالله آل رشيد انتصاراً كبيراً في بقعاء عام ١٢٥٧هـ/ ١٨٤١م. وثبت مركزه في منطقته وما حولها أكثر من ذي قبل.[٦]

---

(١) آل بسام، عبدالله، (مخطوط)، مرجع سابق، ص ١٣٤ب.

(٢) الذكير، مقبل، (مخطوط)، مرجع سابق، ص ٤٦.

(٣) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٨٥-٨٦.

(٤) الذكير، مقبل، (مخطوط)، مرجع سابق، ص ٤٧.

(٥) عبدالرحيم، عبدالرحيم عبدالرحمن، (١٩٨١م)، مرجع سابق، ص٣٨٨.

(٦) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٢هـ)، مرجع سابق، ج١، ص٢٤٧.

٢- قيام عبدالله بن ثنيان ضد خالد بن سعود:

ولكن المشكلة الكبرى التي صادفت خالد بن سعود كانت في قيام عبدالله بن ثنيان آل سعود[١] ضده. ويرجع البعض أسباب ذلك إلى عدة عوامل أهمها:

١- اختلاف أسلوب الحكم وفلسفته لدى كل منهما عن الآخر: فلقد أخذ خالد بن سعود بمبدأ التبعية السياسية في الحكم، ورأى الخروج عن الأسلوب الأصيل الذي سارت عليه الدولة السعودية الأولى في حكمها للبلاد، في حين أن منافسه عبدالله بن ثنيان يرى عكس ذلك، فهو يمثل القوى النجدية التي تدعو للتخلص من التبعية السياسية في الحكم وتطالب بالاستقلال تحت زعامة آل سعود.[٢]

٢- العامل البيئي: لقد كان لمعيشة خالد بن سعود في كنف محمد علي في مصر ثمانية عشر عاماً، أثره على تفكير خالد وعلى حياته، وعلى طريقته في الحكم، فنفر النجديون منه وعدّوه أجنبياً، بينما عاش عبدالله بن ثنيان في بيئة تسودها تعاليم الدعوة السلفية التي تعد في حدّ ذاتها تحدياً دينياً للمبادئ الصوفية وغيرها من المبادئ المنحرفة المنتشرة في البلاد العثمانية.[٣]

٣- أثر العامل النفسي في حياة كل منهما: طالب خالد بن سعود بالحكم، لأنه الوريث الشرعي لأخيه عبدالله بن سعود، في حين يرى عبدالله بن ثنيان أنه أولى بالعرش من خالد، لأنه يمثل أهل البلاد.[٤]

بالإضافة إلى أن ابن ثنيان أخذ يَعِدُ الأهالي بتخليصهم من حكم محمد علي، كما ادعى أنه ينوب عن الإمام فيصل بن تركي الذي أسره خورشيد باشا عام ١٢٥٤هـ/ ١٨٣٨م.[٥]

---

(١) هو من أبناء عمومة الأمير خالد بن سعود، وجده البعيد ثنيان أخ لمحمد بن سعود الجد البعيد لخالد بن سعود، والمؤسس الأول للدولة السعودية الأولى، اتصف بالشجاعة والمراس، والثبات في الغزو، كما كان متديناً ورجل عقيدة، وكان لهذه الصفات أثر بعيد في تأييد أهالي نجد له وانفضاضهم من حول منافسه خالد بن سعود. انظر أبو علية، عبدالفتاح، (١٤٠١هـ)، مرجع سابق، ص ص٦٧-٦٨.

(٢) المرجع السابق، ص٦٨.

(٣) السعدي، حصة أحمد عبدالرحمن، (١٤١٦هـ)، مرجع سابق، ص٧٥.

(٤) أبو علية، عبدالفتاح، (١٤٠١هـ)، مرجع سابق، ص٦٩.

(٥) السعدي، حصة أحمد عبدالرحمن، (١٤١٦هـ)، مرجع سابق، ص٧٦.

وقد اتضح موقف عبدالله بن ثنيان المعادي لمحمد علي وأعوانه قبل انسحاب خورشيد من نجد وربما كان هذا هو السبب الأساس في عدم اطمئنان خالد إليه، وإلحاحه على أن يذهب معه إلى القصيم لوداع خورشيد باشا عند رحيله من المنطقة.

لكن عبدالله اعتذر متعللاً بالمرض، فأصر خالد عليه فوافق ابن ثنيان مكرهاً، وفي الطريق هرب إلى البصرة، وأقام عند رئيس قبائل المنتفق عيسى بن محمد السعدون عدة أسابيع.(١)

عاد ابن ثنيان إلى نجد واتّجه إلى بلدة الحائر القريبة من الرياض، والتجأ عند رئيس قبائل سبيع، وأخذ يدعو الناس لتأييده، فكتب إلى أهالي جنوب نجد (حوطة بني تميم، والحريق، والحلوة) الذين اشتهروا بمقاومتهم للنفوذ الأجنبي، واتفق معهم على الإطاحة بخالد بن سعود. وتخوف خالد بن سعود من وجود ابن ثنيان في بلدة الحائر، فدعا الناس إلى قتاله، ولكنهم تثاقلوا عليه وباءت محاولته بالفشل، ولذلك قرر الخروج من الرياض والذهاب إلى الأحساء علّه يجد فيها من يقف معه.(٢)

وزحف عبدالله بن ثنيان بجنوده واحتل ضرما، ثم أخذ يهاجم الرياض حتى تمكن من دخولها في عام ١٢٥٧هـ/ ١٨٤١م، ومن ثم قدمت إليه الوفود من أمراء البلدان لمبايعته، وعاد إلى العاصمة من سبق وأن تركوها في ظل وجود قوات محمد علي.(٣)

وحينما علم خالد بن سعود باستيلاء ابن ثنيان على الرياض حاول أن يقوم بتجهيز جيش من الأحساء ليزحف به على نجد لمحاربة عبدالله بن ثنيان، ولكن شعوره بالضعف جعله يعدل عن رأيه، فخرج من الأحساء متجهاً إلى الدمام ثم إلى الكويت، ثم إلى القصيم ومنها إلى مكة المكرمة. ولذلك بعث عبدالله بن ثنيان بطليعة من أتباعه استولت على قصر الحكم في الأحساء، ثم بعث إليها عمر بن عفيصان أميراً، وعين أحمد السديري أميراً على القطيف.(٤) وهكذا أصبح نفوذه يشمل المنطقة الشرقية ونجد باستثناء القصيم وجبل شمر اللتين يبدو أنهما كانتا تتمتعان بالاستقلال.

وبعد أن استقر الحكم لعبدالله بن ثنيان، أعلن للجميع أنه لن يتغاضى عن أي اضطراب يحدث في

---

(١) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص٩٢.

(٢) آل بسام، عبدالله، (مخطوط)، مرجع سابق، ص ١٣٦ب.

(٣) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٩٣-٩٥.

(٤) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص٩٦.

الأقاليم، واتخذ سياسة الشدة والعنف لتوطيد حكمه، فقام بإعدام عدد من الشخصيات البارزة في البلاد والمناوئة لحكمه، وعامل الرعية معاملة قاسية، هذا بالإضافة إلى إرهاقهم بالضرائب، فخضعوا له كرهاً، وتطلعوا إلى التخلص من حكمه.(١)

الإمام فيصل بن تركي وقضية خروجه من مصر:

وفي عام ١٢٥٩هـ/ ١٨٤٣م تمكن الإمام فيصل بن تركي من مغادرة مصر بتدبير من عباس باشا حفيد محمد علي والوصول براً إلى جبل شمر، ومن هناك بدأ خطواته التي أدت إلى القضاء على حكم عبدالله بن ثنيان وبداية فترة حكمه الثانية.(٢)

أما كيفية خروج الإمام فيصل بن تركي من مصر فهي موضع خلاف بين المؤرخين والباحثين، وقد جمعت(٣) الآراء التي قيلت في خروج الإمام فيصل بن تركي من مصر وهي:

أولاً: رواية ابن بشر عن كيفية هروب الإمام فيصل ومعه أخوه جلوي وابن عمه عبدالله بن إبراهيم وابنه عبدالله بأنهم نزلوا من الحبس بحبال عن طريق فرجة في مكان سجنهم تبعد عن الأرض أكثر من سبعين ذراعاً، وكانوا قد أعدوا ركايب تحت فركبوها في الليل وساروا إلى جبل شمر. وقد تبع عدد من المؤرخين والباحثين ابن بشر في هذه الرواية.(٤)

ثانياً: أن الذي أخرج الإمام فيصل بن تركي من مصر هو عباس باشا بن طوسون بن محمد علي.(٥)

والرأي الراجح أن خروج الإمام فيصل بن تركي من مصر كان بترتيب من بعض المسؤولين في مصر حيث رأوا في إرجاعه إلى نجد انتقاماً من عبدالله بن ثنيان الذي ثار ضد خالد بن سعود -والي نجد من قبل محمد علي- الذي أخرج باقي الحاميات المصرية في نجد والمصاحبة لخالد بن سعود. أضف إلى ذلك

---

(١) السعدي، حصة أحمد عبدالرحمن، (١٤١٦هـ)، مرجع سابق، ص٧٩.

(٢) الذكير، مقبل، (مخطوط)، مرجع سابق، ص ٥٠ وما بعدها.

(٣) السلمان محمد بن عبدالله، (١٤٠٧هـ)، **القصيم في عهد الدولة السعودية الثانية**، الطبعة الأولى، المطابع الوطنية للأوفست، عنيزة، ص ص ١٣٩-١٤٢.

(٤) المرجع السابق، ص١٤٠.

(٥) المرجع السابق، ص١٤١.

محاولة كسب فيصل بن تركي لإقامة علاقات ودية مع مصر، وهذا ما حصل فعلاً.[١]

ويرجح أن اسم المسؤول الذي تولى إخراجه من مصر هو عباس باشا بن طوسون بن محمد علي لأدلة منها:

١- ما رواه الأمير مساعد بن عبدالرحمن بن فيصل بن تركي عن عمته بنت الإمام فيصل بن تركي أن والدها كان يهدي الخيول إلى عباس باشا ويقول: هذا صديقنا وساعدنا على الخروج من مصر.

٢- تقرير السفارة البريطانية في استانبول الذي جاء فيه أن عباس باشا سمح لفيصل بالهروب من مصر حيث توجه إلى القصير ومنها دعا رجاله إليه.

٣- أن رواية ابن بشر تركز على كيفية هروب الإمام فيصل من مصر ولا تتناقض مع القول بإخراج عباس باشا له من مصر، بل يمكن القول بأن عباس باشا بن طوسون هو الذي اتفق مع أصحاب الركائب التي نقلته ومن معه، وجعل نزوله بالحبال من أحد بروج السجن المرتفعة من باب تغطية عمله.[٢]

---

(١) المرجع السابق، ص١٤١.

(٢) المرجع السابق، ص ص١٤١-١٤٢.

obeikan.com

المبحث الثالث

منطقة الرياض في الفترة الثانية من حكم الإمام فيصل بن تركي

بعدما تمكن الإمام فيصل بن تركي من مغادرة مصر اتجه إلى جبل شمر، وهناك طلب العون من صديقه القديم عبدالله بن رشيد أمير الجبل، فوعده عبدالله بتقديم العون والمساعدة حتى يتمكن من استرداد حكمه من ابن ثنيان. وبعد وصول الإمام فيصل بن تركي إلى حائل واستقراره فيها، كتب إلى أمراء نجد وزعمائها يخبرهم بوصوله ويطلب منهم الانضمام إليه وتأييده.(١)

ولما علم ابن ثنيان بنبأ وصول الإمام فيصل إلى حائل، استشار جماعته فأشاروا عليه بالحرب ضد فيصل بن تركي، وخرج عبدالله بن ثنيان بقواته من الرياض ونزل بنبان شمال الرياض، وأقام بها عدة أيام، وفي أثنائها وردت إليه مراسلات من الإمام فيصل، ولما علم بعض رجاله هربوا إلى جبل شمر وانضموا إلى الإمام.(٢)

فلجأ ابن ثنيان في البداية إلى الحيلة قبل استخدام القوة والحرب مع الإمام فيصل، فكتب إلى أهل الرياض يبشرهم بوصول الإمام من مصر، كما أرسل إلى الإمام فيصل أمير ضرما وحمله بالهدايا لإقناع الإمام فيصل بالحضور إلى الرياض للتفاوض معه.(٣) وما كانت هذه الحيلة لتنطلي على الإمام فيصل ذو الحنكة السياسية والخبرة الطويلة، الذي عركه الزمن، وعصرته التجربة والحروب.

وعندما باءت محاولة ابن ثنيان بالفشل عمد إلى استخدام القوة، وتوجه بقواته إلى القصيم ونزل بها خارج بلدة بريدة، وذلك لخلاف أمير بريدة عبدالعزيز آل عليان مع عبدالله بن رشيد المؤيد للإمام فيصل بن تركي، ولما علم أمير عنيزة عبدالله بن سليمان بن زامل بذلك، قام بمشاورة جماعته في موقف بلدتهم من القوى المتنازعة، فرأى الأغلبية تأييد الإمام فيصل، وقرروا إرسال مبعوث عنهم إلى الإمام

---

(١) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٩٩-١٠٠.

(٢) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٩٩-١٠٠.

(٣) المصدر السابق، ج٢، الصفحة نفسها.

لمبايعته ودعوته لزيارتهم، وبالفعل قدمت جيوش الإمام فيصل حيث كانت معسكرة في الكهفة -بين حائل وبريدة- إلى بلدة عنيزة في القصيم.[١]

وعندما علم جنود عبدالله بن ثنيان بوجود الإمام فيصل في عنيزة، هربوا من معسكره إلى معسكر الإمام فيصل بن تركي، فلما رأى ذلك ابن ثنيان انسحب من القصيم وعاد إلى الرياض وتحصن فيها.[٢] وما إن انسحب ابن ثنيان من القصيم حتى أصبحت جميع بلدانها تدين بالولاء والطاعة للإمام فيصل بن تركي الذي غادر عنيزة إلى الوشم، فبايعه أهلها، ثم اتجه إلى حريملاء، حيث مكث بها عدة أيام، ومنها أرسل إلى ابن ثنيان يدعوه إلى المصالحة وحقن الدماء، وعرض عليه أن يخرج من الرياض بما شاء وينزل أي بلد شاء في نجد أو غيرها، وتعهد إليه الإمام بصرف مبالغ تكفيه كل سنة، فرفض عبدالله بن ثنيان هذا العرض، وأصرّ على القتال والمقاومة.[٣]

ولذلك واصل الإمام فيصل سيره إلى الرياض ونزل بلدة منفوحة، وهناك جهّز الإمام فيصل رجالاً من قومه مع أخيه جلوي وأمرهم بدخول الرياض، بعد مراسلة من مدينة الرياض جاءت إليه خفية، وحينما علم ابن ثنيان بذلك، دخل قصره وتحصّن بداخله، وطلب الصلح ولكن لم يتم التوصل إلى نتيجة إيجابية، فحاول ابن ثنيان الهرب ولكن رجال الإمام فيصل تمكنوا من الإمساك به، وأمر الإمام بحبسه ولم يدم ذلك طويلاً لوفاة ابن ثنيان في سجنه في منتصف جمادى الثانية عام ١٢٥٩هـ/ ١٨٤٣م. وبهذا انتهى حكم عبدالله بن ثنيان الذي دام ما يقرب من عامين.[٤] وهكذا عاد الإمام فيصل بن تركي إلى الرياض عاصمة حكمه، وبدأت فترة حكمه الثانية التي دامت ثلاثة وعشرين عاماً.

وكان الإمام فيصل بن تركي قد استولى على كثير من بلدان نجد قبل أن يستولي على الرياض، وبعد استيلائه على العاصمة قدمت إليه وفود من بقية البلدان النجدية معلنة ولاءها له دون قتال.[٥] وهذا يوحي بتطلع كثير من سكان المنطقة إلى حكمه، ونظرتهم المعجبة بزعامته، وكان مما قام به في مستهل

---

(١) أبو علية، عبدالفتاح، (١٤٠١هـ)، مرجع سابق، ص٩٦.

(٢) آل بسام، عبدالله، (مخطوط)، مرجع سابق، ص ١٣٨ب.

(٣) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص١٠١.

(٤) المصدر السابق، ج٢، ص ص١٠٢-١٠٣.

(٥) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص١٠٢.

فترة حكمه الثانية أن وجه رسالة إلى رعيته في أنحاء البلاد كانت بمثابة خطاب العرش كعادة رؤساء الدول في وقتنا الحاضر عند تسلمهم سلطتهم الجديدة، وكانت مشابهة لتلك التي وجهها إلى رعيته عند استيلائه على العاصمة ذاتها في بداية فترة حكمه الأولى.(١)

كما استهل الإمام فيصل حكمه الجديد بإجراء سلسلة من التغييرات والتعيينات الإدارية في مناطق دولته، فعزل عدداً من موظفي حكومة عبدالله بن ثنيان السابقة، وعيّن خلفاً لهم إداريين وقضاة وموظفين تابعين له، ومع هذا فإن هذه التعيينات الجديدة لم تثبت وتستقر طويلاً، فكان يعزل حاكماً من منصبه ويعين آخر بدلاً منه بسبب ما قام في الأقاليم من حركات تمرد ضد السلطة المركزية كان يدعمها بعض حكام الأقاليم.(٢)

وإذا كان سكان نجد والأحساء قد رحبوا بصفة عامة بالإمام فيصل بن تركي، وحكمه فإن بعض القبائل لم تحبذ الخضوع لسلطة تُحدّ من نشاطها غير المبرر أحياناً. ومن هذا القبيل الاعتداء على قوافل التجارة وعلى قوافل للحجاج، فأغضب هذا التصرف الإمام فيصل، لأن هذا يعني انعدام الأمن في دولته، فجهز جيشاً توجه به إلى مضارب هذه القبائل لتأديبهم.(٣)

كما تمكن الإمام فيصل في السنوات التالية من القضاء على الاضطرابات في الأحساء والقصيم بكل قوة وأخضعهما لنفوذه.(٤)

ولم تسلم منطقة الرياض من ظهور بعض الاضطرابات فيها ففي عام ١٢٦١هـ/ ١٨٤٥م حدثت خلافات في الأفلاج، فسار إليها الإمام فيصل ومعه محمد بن مقرن، رئيس منطقة الأفلاج، وعبدالعزيز بن محمد آل أبو عليان أمير بريدة في منطقة القصيم، وكادت الفتنة أن تأخذ مجراها، لولا تدخل الإمام فيصل وقواته التي اتجهت إلى الجنوب، فأطفئت الفتنة ونزل الإمام في ليلى وأتاه رؤساء البلاد، وأعلنوا ولاءهم له وسجن أهل الخلاف، وعاد إلى الرياض.(٥)

---

(١) انظر نص الرسالة في المصدر السابق؛ ج٢، ص ص١٠٣-١٠٥.

(٢) أبو علية، عبدالفتاح، (١٤٠١هـ)، مرجع سابق، ص١٠٣.

(٣) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص ص١١١-١١٢.

(٤) لقد كانت الاضطرابات في القصيم أكثر قوة وخطورة من جنوب نجد ولكن الباحث لم يركز عليها لوقوعها خارج منطقة الرياض موضوع البحث.

(٥) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص ١١١.

وفي السنة نفسها حدثت فوضى وخلافات في إحدى بلدان جنوب نجد، فأرسل إليها الإمام فيصل قائده سليمان بن منديل، فاستطاع هذا القائد أن يحاصر المتمردين في البلدة، وتمكن من إعادة الأمن إليها.[١] وحدث تمرد آخر في بلدة السيح في جنوب نجد، فأرسل الإمام أخاه جلوي، وابن أخيه عبدالله لإخضاعها، مما أدى إلى حدوث مناوشات بين الطرفين، وتم التوصل إلى صلح بينهما عادت الأمور على إثره إلى مجراها الطبيعي.[٢]

علاقة الإمام فيصل بالدولة العثمانية:

اعترف الإمام فيصل بن تركي بالسيادة الاسمية للدولة العثمانية، وطبق عليه نظام الالتزام العثماني، وهو أن يدفع للدولة مقداراً من المال دليلاً على الطاعة، وتصرّف في الداخل بكل حرية، وهذا نوع من الاستقلال الداخلي، ولم تمنع هذه التبعية الاسمية الإمام فيصل من مفاوضة المعتمد البريطاني بلي عندما زار الرياض عام ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥هـ.[٣] وكان دفع الإمام فيصل المال للدولة العثمانية خاضعاً للظروف المحيطة بكلا الطرفين. فمن المرجّح أن الإمام لم يدفع ما كان عليه أن يدفعه خلال العقد الثامن من القرن الثالث الهجري، لأن سلطة الدولة العثمانية في غربي الجزيرة العربية قد تعرضت للكثير من الهزات العنيفة لكن حينما تمكنت تلك الدولة من استعادة هيبتها في تلك المنطقة، عاد الإمام فيصل إلى دفع ما كان يدفعه في الماضي.[٤]

علاقة الإمام فيصل ببريطانيا:

وقفت بريطانيا بالمرصاد لأي قوى إقليمية أو خارجية تحاول بسط نفوذها في الخليج العربي وجهات عمان حيث مصالحها الاستراتيجية في تلك المنطقة، ومن ثم وقفت ضد محمد علي، والدولة السعودية الأولى، ولم يختلف موقفها من الإمام فيصل بن تركي عن الموقفين السابقين، خاصة وأن نفوذها في المنطقة قد ازداد بعد انسحاب القوات المصرية منها.

ولقد امتنعت بريطانيا عن مساندة المعارضين للإمام فيصل في البريمي، وما حولها في بداية عهده،

---

(١) المصدر السابق، ج٢، نفس الصفحات.

(٢) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص ص١١٨-١١٩.

(٣) أبو علية، عبدالفتاح، (١٤٠١هـ)، مرجع سابق، ص١٦٨.

(٤) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٢هـ)، مرجع سابق، ج١، ص٢٧٥.

وأرسل إليها الإمام رسالة عبّر فيها عن أمله في إقامة علاقات طيبة معها، وحينما توغلت القوات السعودية في عمان وأصبحت تهدد مدينتي مسقط وصحار، نصحت بريطانيا حاكمي هاتين المدينتين بدفع الزكاة إلى حكومة الرياض، لكن بريطانيا وقفت ضد أي محاولة للاستيلاء على مسقط وصحار.

وكان موقف بريطانيا بالنسبة للنزاع بين الإمام فيصل وآل خليفة مشابهاً بدرجة كبيرة للموقف الذي اتخذته في عمان، ذلك أنها لم تشجع حاكم البحرين على عدم دفع الزكاة للإمام فيصل، لكنها وقفت إلى جانبه ضد أي محاولة غزو لبلاده. وفي إطار اهتمام بريطانيا بعلاقاتها مع الإمام فيصل بن تركي بعثت اللفتنانت كولونيل لويس بلي المقيم البريطاني في أبي شهر لزيارة الرياض عاصمة الدولة السعودية الثانية وذلك عام ١٢٨٢هـ (١٨٦٥م) ومقابلة الإمام فيصل بن تركي، وشرح السياسة البريطانية في المنطقة، وقطع الطريق على المحاولات الفرنسية لإقامة علاقات مع القوى المختلفة في الجزيرة العربية ومنها الدولة السعودية الثانية وتكوين امبراطورية عربية تديرها فرنسا في طريق الهند.(١)

ولا نريد الدخول في تفاصيل ما تمخضت عنه زيارة بلي للرياض، ولكن نكتفي هنا بالإشارة إلى نتيجة هامة نستخلصها من توصيات بلي إلى حكومته مؤداها "أن قوى السعوديين في الداخل (داخل الجزيرة العربية) هي القوى المتماسكة الحقيقية التي يمكن تنفيذ ما تعد به من تحقيق الاستقرار في المنطقة، ومن هنا فإن التعامل معها أكثر جدوى وفائدة من التعامل مع كيانات صغيرة وهامشية." وهي السياسة التي طبقتها بريطانيا بحذافيرها عند قيام الدولة السعودية الثالثة.(٢)

نهاية الإمام فيصل بن تركي:

وهكذا اتسعت حدود الدولة السعودية الثانية في عهد الإمام فيصل بن تركي اتساعاً كبيراً، وشملت بالإضافة إلى منطقة الرياض الأحساء والقطيف وعسير والجبل والقصيم، وذلك لأن سكان هذه المناطق تأكدوا من نجاح الإمام فيصل بن تركي، الذي أعاد للبيت السعودي مكانته السياسية في شبه الجزيرة العربية، واجتهد في بناء الدولة. هذا ويعد الإمام فيصل بن تركي من أعظم حكام آل سعود، فهو يتميز

---

(١) بلي، اللفتنانت كولونيل لويس، (١٤١١هـ)، **رحلة إلى الرياض**، ترجمة وتحقيق وتقديم عبدالرحمن عبدالله آل الشيخ وعويضة بن متيريك الجهني، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، صفحة ح.

(٣) بلي، اللفتنانت كولونيل لويس، (١٤١١هـ)، مرجع سابق، صفحة ط.

بقوة الشخصية وبذكاء واسع، ونعمت البلاد في عهده بالوحدة والحرية والاستقلال.[١] وقد عبر اللفتنانت كولونيل لويس بلي عن إعجابه بصفات الإمام فيصل بن تركي عندما زار الرياض عام ١٢٨٢هـ وقابل الإمام فيصل قبل وفاته ببضعة أشهر ووصفه بأن ملامح وجهه كانت تمثل الهدوء والصرامة ورباطة الجأش والطمأنينة، كما أن عباراته كانت هادئة وموزونة، وكان جليل القدر مهاباً.[٢]

وفي عام ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م توفي الإمام فيصل بن تركي -رحمه الله تعالى- في الرياض مخلفاً أربعة أولاد هم عبدالله، وسعود، ومحمد، وعبدالرحمن. وخلفه في الحكم ابنه الأكبر عبدالله، وبموت الإمام فيصل فقدت البلاد أعظم حاكم من حكام الدولة السعودية الثانية.

(١) السعدي، حصة أحمد عبدالرحمن، (١٤١٦هـ)، مرجع سابق، ص ص٨٦-٨٨.

(٢) بلي، اللفتنانت كولونيل لويس، (١٤١١هـ)، مرجع سابق، ص ٧٦.

obeikan.com

المبحث الرابع

فترة الاضطرابات بعد وفاة الإمام فيصل

كانت وفاة الإمام «فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود» خسارة كبيرة للبلاد، وفتحاً لباب الفتن والنزاعات التي دامت سبعاً وعشرين سنة تداول الحكم فيها أبناؤه (عبد الله وسعود ومحمد وعبد الرحمن)، كما تولى إمارة الرياض في هذه الفترة عمهم (عبد الله بن تركي) وصار كل من يستولي على الرياض منهم يعد هو الحاكم.

وتفصيل ذلك: أن الإمام عبد الله بن فيصل كان الساعد الأيمن لأبيه طيلة أيام حكمه، وطالما قاد الجيش السعودي في معارك عدة، كما كان والده ينتدبه للمهمات فينهض بها على أتم وجه، فنال ثقة والده وعهد إليه بالحكم من بعده مما أغضب أخاه سعوداً وجعله يحقد عليه، ويطمع في أن ينزع الحكم من أخيه؛ لأنه يعتقد أنه أكفأ وأقوى شخصية منه، وأقدر على إدارة البلاد؛ لذا خرج في العام الثاني لولاية أخيه (١٢٨٣هـ) مغاضباً لأخيه واستنجد القبائل لمساعدته فامتنع بعضها وأجاب البعض الآخر فجمع من أتباعه جيشاً التقى مع جيش أخيه (عبد الله) في (المعتلى) عام ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦م فهزم جيش سعود هزيمة ساحقة جعلته يتوقف عن الحرب فترة حتى استطاع أن يستجمع قواه ويستعين بالقوى الخارجية التي كانت تتربص الدوائر في الدولة السعودية الثانية للإجهاز عليها أو إضعافها، وكوَّن جيشاً التقى مع جيش أخيه في معركة (جودة) قرب الأحساء في رمضان عام ١٢٨٧ هـ وهزم جيش الإمام عبدالله الفيصل هزيمة منكرة وأسر قائده الأمير (محمد بن فيصل)، وتعد هذه المعركة، المعركة الحاسمة في هذا النزاع من حيث الأهمية، وفداحة خسارة البلاد، وبُعد المدى في النتائج؛ فقد استولى سعود على الأحساء ثم زحف ودخل الرياض في مطلع العام التالي (١٢٨٨هـ). وفي هذه الأثناء وقعت بين الطرفين معركتان (في الجزعة ثم في البرة) أجهزت على ما بقي لدى الإمام (عبد الله) من قوة فخرج هائماً على وجهه يطلب النجدة من أهل القصيم ثم من ابن رشيد، فلم يجبه أحد، مما اضطره إلى اللجوء إلى ولاة الدولة العثمانية في العراق فأرسل مندوباً يحمل رسالة إلى «خليل بك» والي البصرة، وإلى «مدحت باشا» والي بغداد؛ فكان الإمام عبد الله الفيصل بهذا «كالمستجير من الرمضاء بالنار» فانتهز «مدحت باشا» الفرصة وأعد جيشاً بقيادة الفريق «نافذ باشا» وانضمت إليه بعض القبائل التي

تسكن شمالي الجزيرة العربية وتحركت الحملة في ربيع الأول عام ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م فاحتلت القطيف وفكت أسر الأمير (محمد بن فيصل) ثم احتلت الأحساء، ولما قدم «مدحت باشا» في العام نفسه أطلق على منطقة الأحساء: «ولاية نجد» ثم زحف على قطر واحتلها.

وقد حاول الأمير «سعود» إخراج الأتراك العثمانيين من الأحساء عن طريق المفاوضات ففشل وعن طريق الحرب في معركة الخويرة في رجب سنة ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م فهزم وعاد إلى الرياض.

وفي شهر ذي القعدة عام ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م اشتبك في معركة مع إحدى القبائل الموالية لأخيه «عبدالله» فهزم وجرح وعاد إلى الرياض حيث توفي فيها في ١٨ من ذي الحجة عام ١٢٩١هـ/ ٢٧ يناير ١٨٧٥م رحمه الله وعفا عنه.

وبعد وفاة الأمير «سعود» اختار أهل الرياض أخاه الإمام «عبد الرحمن الفيصل» وبايعوه أميراً عليهم.

ولم يمكث الإمام «عبد الرحمن» إلا عاماً واحداً حتى قدم عليه أخوه الإمام «عبد الله» فتنازل له عن الحكم عام ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م.

استقر الأمر للإمام «عبد الله الفيصل»، ولكن أبناء أخيه «سعود» أخذوا يحرضون عليه القبائل وينازعونه، مما فتح الباب أمام تدخل الأمير «محمد بن عبد الله بن رشيد» الذي كان يطمع في الاستيلاء على نجد كلها، فزحف بجيشه على الرياض ففر أبناء سعود الثلاثة (محمد وسعد وعبد الله) إلى الخرج، أما أخوهم الرابع عبد العزيز فكان يقيم منذ بداية المحنة في حائل.

استولى ابن رشيد على الرياض وجعل الإمام (عبد الرحمن الفيصل) والياً عليها من قبله عام ١٣٠٦هـ، واصطحب معه أخاه الإمام (عبد الله) إلى حائل، ثم لم يلبث أن استدعى ابن رشيد الإمام (عبد الرحمن) إلى حائل وفرض عليهما الإقامة الجبرية، وعين عاملاً من قبله (سالم السبهان) ثم عزله وعين (فهاد الرخيص).

مرض الإمام «عبد الله الفيصل» أثناء إقامته، وفي مطلع عام ١٣٠٧هـ اشتد به المرض فأذن لهما بالعودة إلى الرياض وبعد أيام قليلة جداً من وصولهما توفي الإمام «عبد الله الفيصل» في ربيع الآخر عام ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٨م، رحمه الله وغفر له.

كان ابن رشيد قد تعهد للإمام «عبدالله الفيصل» بإعادته إلى الإمارة ، ولما توفي كتب أخوه «عبدالرحمن» لابن رشيد يخبره بوفاة أخيه، وطلب منه عزل عامله على الرياض، وتعيينه بدله، فكان جواب ابن رشيد أن عزل «فهاد الرخيص» وعين «سالماً السبهان» عاملاً على الرياض.

وفي عيد الأضحى من العام نفسه (١٣٠٧هـ) بلغ الإمام «عبد الرحمن» أن ابن سبهان يدبر له مكيدة عندما يأتي ابن سبهان لتهنئته بالعيد فيقتله ويتخلص ممن بقي من آل سعود، فسبقه الإمام «عبد الرحمن» إلى المكيدة نفسها فسجنه، وقتل رجال الإمام عبد الرحمن عدداً من رجال ابن سبهان.

ولما علم أهل القصيم بما قام به الإمام «عبد الرحمن» كتبوا له يعاهدونه على السمع والطاعة.

أما ابن رشيد فزحف بجيشه يريد الرياض لمعاقبة الإمام «عبد الرحمن» فاعترضه أهل القصيم ودارت بينهم معركة عرفت بـ«وقعة المليداء» في ١٣ من جمادى الآخرة سنة ١٣٠٨هـ/ ٢٥ يناير ١٨٩٠م هزم فيها أهل القصيم هزيمة منكرة وقتل فيها عدد من رجاله المشهورين، وكان الإمام عبدالرحمن قد خرج لنجدتهم ففاتته الفرصة بهزيمتهم، فعاد إلى الرياض، ثم علم أن ابن رشيد يعد جيشاً قوياً للهجوم على الرياض، والتفت الإمام «عبد الرحمن» فلم يجد حوله أنصاراً يعتد بهم فخرج من الرياض يستجمع قواه، وفي العام التالي عاد واستولى على الرياض وما حولها.

ولما علم ابن رشيد بتحركات الإمام عبد الرحمن، جهز جيشاً للقضاء عليه فالتقى الجيشان عند حريملاء في شهر صفر ١٣٠٩هـ/ سبتمبر ١٨٩١م فهزم الإمام «عبدالرحمن» وأتباعه، وزحف على الرياض وهدم سورها وقصورها. وأصبح يعين عليها عمالاً إيذاناً بنهاية الدولة السعودية الثانية واستأثر بحكم نجد مدة عشر سنوات.

أما الإمام عبد الرحمن فرحل من نجد إلى الأحساء والقطيف ثم إلى قطر، فالكويت حيث استقر به المقام هناك ونزل ضيفاً على أميرها سنة ١٣٠٩هـ/ ١٨٩٢م، وكانت نتائج هذا النزاع: استيلاء الأتراك العثمانيين على منطقة الأحساء، وسيطرة بريطانيا على مشيخات وإمارات الخليج، واستئثار آل رشيد بحكم نجد، وهكذا أجهز على الدولة السعودية الثانية.

وقد انتهت هذه المحن -ولله الحمد والمنة- بظهور الملك عبد العزيز الذي أخذ على عاتقه إعادة ملك آل سعود وأمجادهم، وتخليص البلاد ممن اغتصبها، وتوحيدها، وقد تحقق له ذلك بتوفيق الله وصلاح

نيته وصدق عزيمته فبنى -على أساس متين من العقيدة الإسلامية الصحيحة والشريعة الغراء- صرحاً شامخاً أصبح مضرب المثل في استتباب الأمن والاستقرار والعدل والرخاء والتقدم على نحو ما يأتي تفصيله في الفصل التاسع- إن شاء الله- .

obeikan.com

المبحث الخامس
بعض الأنظمة الإدارية والحضارية خلال عهد الدولة السعودية الثانية

أولاً : نظام الحكم والإدارة:

١- الإمام وسلطاته:

حافظت الدولة السعودية الثانية على لقب الإمام كحاكم للدولة، باعتبار هذا اللقب شعاراً لنظام الحكم الإسلامي، وكانت مهمة الإمام حفظ الدين وتدبير شؤون الرعية على أسس من الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح. وكانت سلطات الإمام مقيدة بالشرع من ناحية، وله إصدار الأوامر والتنظيمات وإبرام معاهدات الصلح وإعلان الحرب ضد أي جهة داخلية أو خارجية. ومن ناحية أخرى فهو له الرئاسة التنفيذية والتنظيمية والقضائية والمالية والعسكرية في الدولة. والإمام هو الذي يقوم بحل المسائل المعقدة والخلافات الكبيرة التي كانت بين القبائل في البلاد.[١] وكان مقر الدولة السعودية الثانية في الرياض، وللإمام ديوان في قصره يجتمع فيه مستشاروه وقضاته وأمراؤه ورؤساء الأقاليم ومشايخ القبائل.[٢]

٢- ولاية العهد:

كانت ولاية العهد حسب النظام الوراثي الأسري للابن الأكبر من أولاد الإمام. ومن سلطات ولي العهد واختصاصاته وواجباته أنه ينوب عن الإمام أثناء غيابه لمرضه أو لحالات الغزو والزيارات، وكان يعين ولي العهد حاكماً (أو أميراً) على إقليم من الأقاليم لتدريبه على الأمور السياسية والإدارية والتعرف على مشكلات الناس ومطالبهم، ومن الأمثلة على ذلك تعيين الأمير عبدالله بن فيصل زمن إمامة أبيه

---

(١) فاسيلييف، أليكس، (١٩٨٦م)، **تاريخ العربية السعودية**، ترجمة خيري الضامن وجلال الماشطة، دار التقدم، موسكو، ص٢٢١.

(٢) أحمد، فؤاد عبدالمنعم، (١٤١١هـ)، **أصول نظام الحكم في الإسلام مع بيان التطبيق في المملكة العربية السعودية**، مؤسسة شباب الإسكندرية، ص ص٣٠٠-٣٠١.

حاكماً على الرياض. وقد يتسلم ولي العهد قيادة الجيوش بدلاً من أبيه الإمام تدريباً له على فنون الحرب والفروسية لأنه في المستقبل سيكون قائداً عاماً للغزو.[١]. كما حدث بالنسبة للإمام عبد العزيز في عهد والده الإمام محمد بن سعود ولابنه سعود في عهده (أي عهد والده الإمام عبد العزيز).

٣- حكام الأقاليم:

كانت الدولة مقسمة إلى عدة نواح وأقاليم، يعين الإمام على كل إقليم حاكماً أو عاملاً. وكان الإمام يراعي في اختيار أمير الإقليم أن يكون من ذوي النفوذ والزعامة في الإقليم حتى يساعد ذلك على خضوع أهلها للسلطة المركزية لأنهم أكثر خبرة ودراية بمناطقهم وبلادهم وأكثر فهماً لمشاكلهما، كما أن كلمتهم مسموعة لدى أهلها.

على أنه من الملاحظ أن الإمام فيصل بن تركي بالذات لم يتبع ما اتبعه قادة الدولة السعودية الأولى من عدم تعيين أناس من الأسرة الحاكمة في إمارات المناطق. فقد عين ابنه سعوداً أميراً لإقليم الخرج، وعين أخاه جلوي بن تركي حاكماً عاماً على القصيم، ولعل هدفه الأساس من ذلك تثبيت الأمن والاستقرار في هذين الإقليمين.

ويأتي مركز الأمير بعد مركز الإمام في البلد الذي يعين به. فكانت وظيفته سياسية وإدارية وعسكرية، فهو المسؤول عن تجميع الزكاة في البلد وإرسال ذلك إلى مركز الدولة في الرياض، وعليه تجهيز الغزو في حالة النفير العام[٢]، والغالب أن يكون هو رئيس غزو بلده. ولم تمنع قوة نفوذ الأمير أن يقوم الإمام بعزله إذا تبين له عدم كفاءته. وتتضح قوة مركز الإمام من كلمات الإمام تركي لأمراء الأقاليم عندما جمعهم في إحدى غزواته فقال: من حدث منه منكم ظلم لرعيته ليس أدبه عزله بل أجليه عن وطنه ثم وجه كلامه لبعض الرعايا الحاضرين فقال: أيما أمير ظلمكم فأخبروني. فقام أمير بريدة عبدالعزيز بن محمد آل عليان فقال: يا إمام المسلمين خص بقولك ولا تعم به فإذا كنت نقمت على أحد منا فأخبره بفعله. فقال الإمام تركي: "إنما القول فيك وأمثالك تحسبون أنكم ملكتم البلدان بسيوفكم وإنما أخذها لكم وذللها سيف الإسلام والاجتماع على إمام".[٣] ولقد كان حكم الدولة السعودية

---

(١) أحمد، فؤاد عبدالمنعم، (١٤١١هـ)، مرجع سابق، ص ص٣٠١-٣٠٢.

(٢) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د.ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص ١٦١.

(٣) السلمان، محمد بن عبدالله سليمان، (١٤٠٧هـ)، **الأحوال السياسية في القصيم في عهد الدولة السعودية الثانية، ١٢٣٨-١٣٠٩هـ/ ١٨٢٣-١٨٩١م**، ط١، المطابع الوطنية للأوفست، عنيزة، ص ص٢٩٤-٢٩٦.

الثانية لأقاليمها ولبلدانها حكماً مرناً أكثر من كونه مركزياً لأن الإمام أعطى الأمير سلطات واسعة في إقليمه، أو في بلده دون الرجوع إليه عند الضرورة.

٤- الشورى:

طبقت الدولة السعودية مبدأ الشورى في نظام حكمها منذ بداية الدولة السعودية الأولى على يد الإما م محمد بن سعود - يرحمه الله -، فلم تتخلى عنه في أي مرحلة من مراحله حتى وقتنا الحاضر. وكان في الدولة السعودية الثانية نوعان من الشورى: شورى خاصة وأخرى عامة.

والشورى الخاصة تضم عدداً من الأمراء والقضاة والفقهاء والقادة وبعض أفراد الأسرة الحاكمة. وتجتمع هذه النخبة من أصحاب الرأي عندما يأمر الإمام باجتماعها، ويكون لها دور كبير في حالات الحرب، وعند تعيين ولي العهد، ومن أمثلة ذلك اجتماع مجلس الشورى للتباحث في وضع الخطط اللازمة لمقاومة حملة القائد إسماعيل بك وخالد بن سعود، اللذين أرسلا من قبل والي مصر محمد علي للقبض على الإمام فيصل وإنهاء سيادة الدولة السعودية المستقلة.(١)

أما الشورى العامة: فكانت تنعقد في شكل اجتماعات عامة في مناسبة معينة من أجل دراسة المشكلات المتعلقة بالأقاليم عند حدوث تمرد أو فتور في بعض أقاليم الدولة، وكان يحضر هذه الاجتماعات القضاة والأمراء والفقهاء ومشايخ القبائل وأصحاب الفكر والقادة وغيرهم، ومن أمثلة هذه الاجتماعات العامة اجتماع وثيلان الذي أقيم في الدهناء عند عين تدعى وثيلان واجتمع فيه الإمام فيصل بعامة المسؤولين في الأقاليم.(٢)

٥- ولاية القضاء:

يمكن القول أن سلطة القاضي تأتي في المرتبة الثانية مباشرة بعد سلطة الأمير في البلد، وغني عن البيان القول أن القضاء في الحاضرة يستمد أحكامه من الشريعة الإسلامية تبعاً لما تمليه دلالات الكتاب والسنة، وليس مقترناً بالمذهب الحنبلي فحسب، وإن كان يأخذ به في كثير من الحالات لاعتماد المذهب على الدليل أكثر من غيره. وكان القضاة بسيطين في معاملتهم وتنفيذهم للقضاء سواء في المسجد أو الشارع أو المنزل ويتحلون بالنزاهة الحقيقية. وكان القاضي يجلس إلى الخصمين ويسمع شكواهما ثم

---

(١) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص ٧٠.

(٢) أبو علية، عبدالفتاح، (١٤٠١هـ)، مرجع سابق، ص ص٢٥٢-٢٥٣.

يقضي بينهما فيقومان راضيين دون تعقيدات، ومن الواضح أن الحزم في تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية خصوصاً في القصاص والحدود قد أدى إلى الاستقرار والأمن وانعدام المشكلات بين الناس.(١)

"والفصل في جميع القضايا المختصة بالناس من أهم وظائف القاضي وقد يفصل الإمام أو الأمير فيها ولكن لا بد من مصادقة القاضي عليها بختمه المعروف. وغالب الذين يتولون القضاء يكونون من علماء البلد إذا وجدوا، وإلا أرسلت حكومة الرياض قاضياً من قبلها".(٢)

وقد شهدت الدولة السعودية الثانية علماء أفاضل وقضاة أكفاء، وكان بعض هؤلاء قد ولدوا في عهد الدولة السعودية الأولى، وتعلموا في ذلك العهد. بل إن منهم من تولى القضاء في أواخره، لكن أكثر أعمالهم وإنتاجهم كان في عهد الدولة السعودية الثانية. وكان من أبرز أولئك العلماء والقضاة مرتبين حسب سنوات وفاتهم:

١- عبدالله بن عبدالرحمن أبو بطين: ولد في روضة سدير سنة ١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م، وتعلم فيها، ثم في شقراء، ثم في الدرعية. ولما دخلت الطائف تحت الحكم السعودي عُين قاضياً لها، ثم ولي قضاء جهات عمان. وفي عهد الإمام تركي بن عبدالله تولى قضاء الوشم، ثم تولى قضاء القصيم متخذاً من عنيزة مقراً له، وذلك من سنة ١٢٥١هـ/ ١٨٣٥م إلى سنة ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م. وبعد هذا استقر في شقراء حتى وفاته سنة ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م. وهو من أكثر علماء زمنه النجديين تأليفاً لكتب جيدة.(٣)

٢- عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب: ولد في الدرعية سنة ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م، وتتلمذ على علمائها، وتولى القضاء في الدرعية، كما تولاه فترة قصيرة في مكة. وكان مع عبدالله بن سعود في معركة وادي الصفراء سنة ١٢٢٦هـ/ ١٨١١م. وقد دافع عن الدرعية مع المدافعين عنها. ثم أخذ إلى مصر، وجالس علماءها، وناقشهم. ثم عاد إلى نجد عام ١٢٤١هـ/ ١٨٢٥م، وأصبح يتولى الشؤون الشرعية في عهد الإمام تركي بن عبدالله. وظل

(١) السلمان، محمد بن عبدالله سليمان، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٣٠٠.

(٢) المرجع السابق، ص٢٩٨.

(٣) المرجع السابق، ص٣٢٠.

في منصبه حتى وفاته في عهد الإمام عبدالله بن فيصل سنة ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م.[١]

٣- عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن: ولد في الدرعية سنة ١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م، وأخذ مع أبيه إلى مصر وتعلم في الأزهر مختلف العلوم الشرعية والعربية. ثم عاد إلى نجد سنة ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٧م، فأصبح الساعد الأيمن لأبيه عبدالرحمن في إدارة الشؤون الدينية. ولما حدث النزاع بين أبناء الإمام فيصل بعد وفاته بذل جهداً كبيراً لتخفيف وطأة ذلك النزاع. وقد توفي عام ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م.[٢]

٤- حمد بن عتيق: ولد في الزلفي سنة ١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م ثم انتقل إلى الرياض، وتتلمذ على علمائها. وقد تولى قضاء الخرج، ثم الحلوة، ثم الأفلاج، واستمر قاضياً للبلدة الأخيرة حتى وفاته سنة ١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م.

٥- عبدالله بن عبداللطيف: ولد خلال إقامة والده المؤقتة في الأحساء عام ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٨م، فنشأ في بيت جده، قاضي تلك البلاد، عبدالله الوهيبي، وتتلمذ على علمائها الأفاضل، ثم انتقل إلى الأفلاج، واستقر فيها، حتى أقنعه قاضيها حمد بن عتيق بالانتقال إلى الرياض، ففعل. وأصبحت له مساهمة كبيرة في إصلاح الأمور العامة. وقد استقدمه الأمير محمد بن رشيد إلى حائل، فمكث فيها فترة، ثم عاد إلى الرياض. ولما بدأ الملك عبدالعزيز آل سعود حكمه أصبح عوناً له في تسيير الشؤون الدينية. وقد توفي عام ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م.[٣]

٦- هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وهذه هي السلطة الثالثة في البلد بعد الأمير والقاضي، وهي تستمد سلطتها من سلطتيهما.[٤] والهيئة تشبه ديوان الحسبة في صدر الإسلام، وأول ذكر لهذه الهيئة جاء في رسائل الشيخ محمد بن عبدالوهاب المعروفة بالرسائل النجدية وقد أخذ أمرها يتضح أكثر في فترة حكم الإمام فيصل بن تركي إذ أمر بتشكيل هيئة الأمر بالمعروف في أول خطاب له ألقاه على الشعب. كما شدد على الأمراء في المناطق

---

(١) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٢هـ)، ج١، مرجع سابق، ص ص٣١٩-٣٢٠.

(٢) المرجع السابق، ص٣٢٠.

(٣) المرجع السابق، ص ص٣٢٠-٣٢١.

(٤) المرجع السابق، ص٣٠١.

أن يعاضدوا هذه الهيئة لأنها دعم لهم. واستمرت الهيئة أيضاً خلال فترة حكم الإمام فيصل بن تركي الثانية. وما زالت المملكة العربية السعودية -بفضل الله- تعضد هذه الهيئة وتهتم في أمرها حتى وقتنا الحاضر.(١)

وكان صاحب وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له سلطة واسعة في حدود وظيفته، حيث يقوم بالمرور في الأسواق لتذكير الناس بأوقات الصلاة، وعلى الجميع ترك الأعمال والذهاب لأداء الصلاة جماعة في المساجد التي أقيمت في كل حارات المدينة أو البلدة أو القرية، كما كان يقوم بالإشراف على الموازين والمكاييل ومراعاة أحكام الشرع في عمليات البيع والشراء.(٢)

ثانياً: النظام العسكري:

لم يكن هناك نظام عسكري كما هو في المفهوم الحديث، وإنما كانت الدولة السعودية الثانية تعتمد على نظام النفير العام وهذا يعني التعبئة العامة في البلد بقسميها الحضري والبدوي. أما عن كيفية إعداد النفير فكانت تتلخص فيما يلي:

يصدر الإمام أوامره إلى أمراء الأقاليم وشيوخ القبائل بتجهيز غزوهم والحضور إلى مكان قد عينه لهم سراً. وعلى أمير الإقليم أو شيخ القبيلة القيام بتجهيز قواته بالسلاح والمؤونة.(٣) وكان على كل مدينة أو قبيلة أن تقدم في حالة الاستدعاء عدداً معيناً من المقاتلين والدواب وكانت تلك الأعداد تسجل في سجلات تعتبر أساساً لجباية الزكاة، ويشمل الاستدعاء عادة نصف العدد الإلزامي للمحاربين، وفي الحالات الاستثنائية تستدعى كل القوات، وكانت كل قبيلة أو مدينة تشكل في جيش الدولة وحدة خاصة لها رايتها.(٤)

أما في الحالات العاجلة فإن الأمير إذا عزم على الغزو استنفر أهل البلد فخرج القادر على ذلك باستثناء الكبير والضعيف والصغير، وإذا كانا أخوين خرج أحدهما وبقي الآخر عند الأسرة، وكل غاز يجهز نفسه بالسلاح والذخيرة والمتاع والمركوب من إبل أو خيل، والأمير يمد المحاربين بالأطعمة

(١) أبو علية، عبدالفتاح، (١٤٠١هـ)، مرجع سابق، ص٢٦٨؛ وانظر أيضاً الباب الثامن، الفصل الثاني.

(٢) المرجع السابق، ص٢٦٩؛ السلمان، محمد بن عبدالله سليمان، (د. ت.)، مرجع سابق، ص ص٣٠٢-٣٠٣.

(٣) أبو علية، عبدالفتاح، (١٤٠١هـ)، مرجع سابق، ص٢٥٤.

(٤) فاسيلييف، أليكس، (١٩٨٦م)، مرجع سابق، ص ص٢٢٣-٢٢٤.

اللازمة، وذلك عن طريق سكان هذه البلدة. حيث يكلف الأمير ممثليه بجباية هذه الأموال والمؤونة على اختلاف أنواعها، وهذا ما كان يطلق عليه ضريبة الجهاد. ولقد أمر الإمام تركي في إحدى توجيهاته لأمراء الأقاليم ألا يستغلوا ذلك فيأخذوا من السكان أكثر من المطلوب منهم.(١)

ولقد كان أغلب تسليح القوات بدائياً مثل السيف والدرع والرمح والقوس والنبال والخنجر، ومنها البندقية ذات الفتيل.(٢) وكذلك بضعة مدافع لم تستخدم إلا في حالات نادرة جداً.(٣) وكانت القوات تنقسم إلى مشاة وفرسان وهجانة.(٤)

ولم تتخذ الدولة السعودية الثانية خطوات جادة لتشكيل أسطول بحري، وكانت عملية تعتمد على سفن أتباعها من القبائل الساحلية، كأهل البحرين، وعندما فتح الإمام فيصل بن تركي قطر عام ١٢٦٧هـ/ ١٨٥٠م سخر سفنها لخدمة الدولة.(٥)

أما بالنسبة للخطط الحربية فكان لدى الدولة السعودية الثانية أكثر من طريقة، كالمباغتة، أو الهجوم المكشوف، أو بواسطة الكمائن، أو أسلوب الكر والفر، وفي أكثر الأحيان كان يسود القتال أسلوب الزحف، وربما عمدوا إلى قتال التعبئة وهي أن تسير القوات للقاء عدوها وهي مقسمة إلى قلب وميمنة وميسرة ومقدمة ومؤخرة.(٦)

وكان الغزو في الدولة السعودية عموماً يتم في فصلي الشتاء والربيع كل سنة، أما أشهر الصيف فهي فترة استراحة. لأن فصلي الشتاء والربيع هما فصلا المطر، والقبائل تنتشر في الصحراء للرعي فيسهل غزوها، بعكس الصيف التي تتجمع حول موارد المياه للسقاية.(٧)

ولم يكن للجندي (الغازي) راتب معين، ولم تكن هناك جيوش منظمة ثابتة في الدولة بل كانت

---

(١) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص ٥٧؛ والسلمان، محمد بن عبدالله سليمان، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص ص٣٠٤-٣٠٥.

(٢) السلمان، محمد بن عبدالله سليمان، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص ص ٣٠٦.

(٣) فاسيلييف، أليكس، (١٩٨٦م)، مرجع سابق، ص٢٢٤.

(٤) أبو علية، عبدالفتاح، (١٤٠١هـ)، مرجع سابق، ص٢٥٥.

(٥) المرجع السابق، ص٢٥٨؛ فاسيلييف، أليكس، (١٩٨٦م)، مرجع سابق، ص٢٢٤.

(٦) أبو علية، عبدالفتاح، (١٤٠١هـ)، مرجع سابق، ص٢٥٥.

(٧) السلمان، محمد بن عبدالله سليمان، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٣٠٨.

توزع عليهم الغنائم في حالة النصر، كالقاعدة العامة الخمس لبيت مال الدولة، والأربعة أخماس الباقية للجنود المحاربين.[١] حصة للمشاة أو الهجانة وحصتان للفرسان.[٢] ولعل هذا التفاوت نتيجة لأن جهود الفارس وتكلفته أكثر من غيره.

وكان الإمام تركي بن عبدالله آل سعود هو القائد لأتباعه قبل بداية دولته، وظل يقود بعض الغزوات بعد ذلك، ولما قدم إليه ابنه فيصل من مصر تولى قيادة أكثر الغزوات. وكان وضع عبدالله بن فيصل مع أبيه كوضع أبيه مع جده. ولما حدث النزاع بين عبدالله وأخيه سعود كان كل منهما يقود أتباعه أحياناً. وأحياناً كان أخواهما محمد وعبدالرحمن يقودان الأتباع.

ولقد برز في عهد الدولة السعودية الثانية عدد من الشخصيات التي تولت مناطق أو قيادة جيوش ونجحت نجاحاً كبيراً. وكان من أشهرهم:

١- عمر بن عفيصان: كان مع الإمام تركي بن عبدالله في عرْقة سنة ١٢٣٩هـ/ ١٨٢٣م، ثم عينه الإمام أميراً للخرج سنة ١٢٤١هـ/ ١٨٢٥م، ثم أرسله قائداً لسرية إلى عمان سنة ١٢٤٤هـ/ ١٨٢٨م. وفي عام ١٢٤٥هـ/ ١٨٢٩م غزا جهة الأحساء وأخضعها لحكم الدولة السعودية وعُين أميراً عليها. وفي سنة ١٢٤٨هـ/ ١٨٣٢م قاد الجيوش المتجهة إلى عمان. وظل أميراً للأحساء حتى عام ١٢٥٤هـ/ ١٨٣٨م، وهرب منها خوفاً من بطش خورشيد باشا، ثم أعاده عبدالله بن ثنيان إلى إمارة الأحساء سنة ١٢٥٨هـ/ ١٨٤٢م.[٣]

٢- أحمد بن محمد السديري: وفد إلى الإمام تركي بن عبدالله سنة ١٢٣٩هـ/ ١٨٢٣م. على رأس جماعته أهل الغاط مبايعاً، ثم عينه إسماعيل بك أميراً لسدير عام ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م، فأحسن السيرة بأهلها، ثم أمَّره خورشيد باشا على الأحساء فترة من عام ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م، ثم عينه عبدالله بن ثنيان أميراً للقطيف سنة ١٢٥٨هـ/ ١٨٤٢م، ثم عينه الإمام فيصل بن تركي أميراً للأحساء سنة ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م. وكان له دور كبير في تثبيت الحكم السعودي هناك، وفي جهات عمان عندما نقل إليها أميراً سنة ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م. وقد توفي بالأحساء عام

---

(١) المرجع السابق، ص٣٠٨.

(٢) فاسيلييف، أليكس، (١٩٨٦م)، مرجع سابق، ص٢٢٤.

(٣) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٢هـ)، ج١، مرجع سابق، ص٣٢٤.

١٢٧٨هـ/ ١٨٦١م.[١]

٣- تركي بن أحمد السديري: عينه الإمام فيصل أميراً على الأحساء سنة ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م، ثم حل محل أبيه في جهات عمان بعد سنة ١٢٧٨هـ/ ١٨٦١م. وكان له دور مشابه لدور أبيه في الأحساء، ثم في الجهات العمانية، وظل هناك حتى اغتيل سنة ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م.[٢]

٤- محمد بن أحمد السديري: عينه الإمام فيصل أميراً في بريدة وعلى سائر بلدان القصيم عام ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م، ثم أمّره في الأحساء عام ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م. وكان مع سعود بن فيصل في معركة طلال ضد الروقة من عتيبة عام ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م، وقتل في تلك المعركة.[٣]

ثالثاً: النظام المالي:

إن النظام المالي في الدولة السعودية الثانية يعني مصادر الدخل ووجوه الإنفاق (إيرادات ومصروفات)، ولقد كانت واردات بيت المال تتكون من الآتي:

١- الزكاة:

وهي تعتبر أهم مصادر الدخل في الدولة السعودية الثانية، وتؤخذ من الحاضرة والبادية حسب ما قررته الشريعة الإسلامية، ومقدارها يختلف باختلاف الصنف المراد أخذ الزكاة عنه. والزكاة عادة تجبى من الإقليم والمسؤول الأول عن جبايتها هو أمير الإقليم، فهو يعين وكلاء أو جباة أو محصلين يجمعون الزكاة من إقليمه، وهذا بدوره يرسلها إلى بيت المال في الرياض. وكان مقدار الزكاة يخضع للتطورات الاقتصادية والسياسية في الدولة، فأحياناً كانت ترتفع وأحياناً أخرى كانت تنخفض بسبب الحروب.[٤] وقد شدد الإمام فيصل بن تركي في وجوب دفع الزكاة في أوقاتها المحددة لأنها الركن الثالث من أركان الإسلام، كما أنها الممول الرئيس لبيت المال في الرياض.[٥]

---

(١) ابن عيسى، إبراهيم بن صالح، (١٣٨٦هـ)، ط١، مرجع سابق، ص ص١٦٤-١٧٥.

(٢) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٢هـ)، ج١، مرجع سابق، ص٣٢٣.

(٣) ابن عيسى، إبراهيم بن صالح، (د. ت.)، مرجع سابق، ص ص٤٠-٤٢.

(٤) أبو علية، عبدالفتاح، (١٤٠١هـ)، مرجع سابق، ص٢٧٤.

(٥) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص٦٦.

٢- ضريبة الجهادية:

وهي ضريبة تجمع من المواطنين لتجهيز الغزوات التي تقوم بها الدولة أو الإمارة، وهي موجودة في الدولة السعودية الثانية، ويدل على ذلك خطاب الإمام تركي إلى أمراء البلدان بقوله: "اسمعوا يا أمراء البلدان، اسمعوا يا أمراء المسلمين إياكم وظلم الرعايا والأخذ منهم غير الحق، فإذا ورد عليكم أمري بالمغزى حملتموهم زيادة لكم إياكم وذلك، فإنه ما منعني أن أجعل على أهل البلدان زيادة ركاب لغزوهم إلا الرفق بهم وإني ما حملتهم إلا بعض ما حملهم الذي قبل". (١)

٣- ضرائب أخرى:

وتشمل الضرائب أو الجمارك التي تؤخذ على البضائع، وهذه الجمارك كانت موجودة في زمن الدولة الإسلامية الأولى. لذا فقد أخذت الدولة السعودية الثانية الأعشار من البضائع التي تدخل البلاد من الخارج. ولا توجد سجلات رسمية تحصي كمية ومقدار العشور التي كانت تجمعها الدولة سنوياً. (٢) كما تشمل الضريبة التي تؤخذ على الحجاج أثناء مرورهم في أراضي الدولة لقاء تأمينهم من الحوادث وما يحتاجونه من ماء وغيره. (٣)

٤- الغنائم:

وهي ما تؤخذ من أسلاب المعركة بعد نهايتها سواء أكانت عينية كالأسلحة أم نقدية أم مواشي. وحصة بيت المال منها الخمس حسب القاعدة الشرعية، والباقي يوزع على المحاربين كل حسب كفاءته ورتبته ومقدرته كما أوضحنا ذلك في النظام العسكري. (٤)

وكان تصدير الخيول العربية الأصيلة في عهد الإمام فيصل بن تركي من الأبواب الثابتة للإيرادات، وكانت خيول جبل شمر تصدر عبر الكويت، أما الخيول الأخرى فتصدر عبر القطيف والعقير. وفي عام ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م بيع عن طريق الكويت ستمائة من الخيول العربية، بسعر متوسط قدره مائة وخمسون

---

(١) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص٥٧.

(٢) أبو علية، عبدالفتاح، (١٤٠١هـ)، مرجع سابق، ص٢٧٤.

(٣) السلمان، محمد بن عبدالله سليمان، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٣١٣.

(٤) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، مصدر سابق، ج٢، ص ٣٧.

obeikan.com

ريالاً ماريا تريزا للرأس الواحد. وأرسل عباس باشا حاكم مصر عدة بعثات لشراء الخيول، وكان الرحالتان الأوربيان المعروفان فالين وغوارماني قد زارا الجزيرة العربية بحجة شراء الخيول.[١]

وقد بلغت العائدات التي وصلت إلى بيت المال في آخر عهد الإمام فيصل بن تركي حوالي ٨٦٠ ألف ريال ماريا تريزا من جميع المناطق التابعة للدولة، وكان نصيب منطقة الرياض منها ٢١٢ ألف ماريا تريزا وهي بذلك تعد ثاني منطقة من حيث كثرة الإيرادات ولا يسبقها إلا منطقة الأحساء التي بلغت إيراداتها ٢٧٠ ألف ريال ماريا تريزا.[٢]

أما المصروفات فتشمل الإنفاق على شؤون الإمام الخاصة كأمور أسرته وحرسه وخيله وركابه، إضافة إلى الإنفاق على ضيافته، كما تشمل رواتب للقضاة وعطايا ومنح لطلبة العلم وللفقراء والعاجزين عن الكسب. هذا بالإضافة إلى المشروعات العمرانية كبناء القصور وبناء السور أو ترميمه، وكذلك بناء المساجد وتعمير العيون.[٣]

وكانت النقود المتداولة بين الناس في الدولة نقوداً أجنبية مسكوكة خارج الدولة، وقد حاول ولاة الأمر من آل سعود أن يضربوا النقود العربية الخالصة. وكان من النقود المتداولة عندهم المتليكات ومفردها متليكة وقد طبعتها الدولة بطابعها الخاص وكتبت عليها اسم الحاكم، لكنها لم توفق في بقاء مثل هذا النقد الذي حاولوا سكه وذلك نتيجة الانقسامات الداخلية في الدولة.[٤] وكانت العملة الرئيسة هي الريال الفضي (ريال ماريا تريزا) ومع ذلك استخدم في التداول الشلن الإنجليزي والنقود العثمانية والفارسية والهندية الذهبية والفضية.[٥]

رابعاً: العلم والتعليم:

لقد أصبحت الرياض هي مركز الحركة العلمية في الدولة السعودية الثانية بعد أن كانت الدرعية هي مركز الحركة العلمية في عهد الدولة السعودية الأولى. وأصبحت مقصداً لطلاب العلم من أنحاء البلاد

---

(١) فاسيلييف، أليكس، (١٩٨٦م)، مرجع سابق، ص٢٢٦.

(٢) بلي، اللفتنانت كولونيل لويس، (١٤١١هـ)، مرجع سابق، ص ٥١.

(٣) المرجع السابق، ص٢٢٥؛ السلمان، محمد بن عبدالله سليمان، (١٤٠٧هـ)، مرجع سابق، ص٣١٥.

(٤) أبو علية، عبدالفتاح، (١٤٠١هـ)، مرجع سابق، ص ص٢٩٥-٢٩٦.

(٥) بلي، اللفتنانت كولونيل لويس، (١٤١١هـ)، مرجع سابق، ملحق ٨، ص ١٤١.

"وقد اهتم الإمام تركي بن عبدالله بالتعليم وأنشأ مؤسسة علمية على غرار ما كان موجوداً في عهد الدولة السعودية الأولى حينما أنشأ المسجد الجامع الكبير وترك أمر الإشراف عليه وعلى مناهجه لكبير علماء آل الشيخ عبدالرحمن بن حسن الذي عينه الإمام تركي مشرفاً ورئيساً للعلماء، وطلب منه أن يعيد المدرسة القديمة لدراسة العلوم والفنون الشائعة آنذاك". (١) التي كانت لا تتعدى العلوم الشرعية كالفقه والتوحيد والتفسير والقراءات وبعض العلوم اللغوية الثانية، كالنحو والصرف والعلوم الاجتماعية والتاريخ، إلى جانب المرحلة الدراسية الأولية كالقراءة والكتابة. أما بالنسبة للعلوم العصرية فقد كانت نادرة في البلاد. ومن المعتقد أن بعض هذه العلوم قد دخلت في عهد الإمام فيصل بن تركي الذي عمل على تطوير التعليم في عهده.

"فقد أعاد الإمام فيصل أهمية كبرى لمسجد آخر وهو مسجد الشيخ عبدالله وجعل له دوراً تعليمياً ممتازاً على نمط ما كان موجوداً في الجامعة الأزهرية فكان ذلك المسجد يغص بحلقات العلم ليل نهار، وتولى التدريس فيه العلامة الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن محمد بن عبدالوهاب". (٢)

ونتيجة ذلك ظهرت في البلاد مجموعة من الشيوخ والعلماء الأفاضل، لهم كتب ورسائل وفتاوى في أمور الدين، وكان على رأس هؤلاء أسرة آل الشيخ في منطقة الرياض، ومنهم الشيخ علي بن حسين ابن محمد بن عبدالوهاب وأخوه عبدالملك وعبدالرحمن بن محمد بن حسن بن عبدالوهاب وحمد بن حسين بن محمد بن عبدالوهاب وغيرهم.

ومن علماء نجد المشهورين عثمان بن منصور، وعثمان بن عبدالجبار، وعبدالرحمن الثميري، وحمد ابن عبدالعزيز الدوسري وسليمان بن بليهيد والمؤرخ عثمان بن بشر صاحب كتاب عنوان المجد في تاريخ نجد، وإبراهيم بن عيسى الذي اختص في التاريخ أيضاً وله كتاب عقد الدرر، وبعض الحوادث الواقعة في نجد، ووفيات بعض الأعيان، وتعد كتاباته التاريخية مكملة لكتابات ابن بشر عن تاريخ نجد وتوابعها.

ولقد انتشرت المدارس (الكتاتيب) في مدن وبلدان المنطقة؛ حيث وجدت فيها مجموعة من كتاتيب القراءة والكتابة، وبعض الكتاتيب العليا الخاصة بتدريس العلوم الدينية والاجتماعية واللغوية. (٣)

---

(١) الرويشد، عبدالرحمن بن سليمان، (١٤١٢هـ)، مرجع سابق، ص٣٢.

(٢) المرجع السابق، ص٤١.

(٣) أبو علية، عبدالفتاح، (١٤٠١هـ)، مرجع سابق، ص ص٢٨٨-٢٩١.

على أن التركيز العلمي ظل -كما كان في عهد الدولة السعودية الأولى- على التوحيد. لكن علوم اللغة العربية حظيت باهتمام أوفر عن ذي قبل. وظهرت كتابات نثرية وشعرية فيها لمحات لا بأس بها من حيث الجودة. أما الشعر العامي الجميل القريب من الفصحى فقد ازدهر ازدهاراً عظيماً، وأثر منه الشيء الكثير. وممن أثر عنه ذلك اللون من الشعر عدد من أفراد الأسرة السعودية وغيرهم من أمراء المناطق وزعماء القبائل. وقد أسهم بعض الشعر -بالإضافة إلى التمتع به- في توضيح كثير من الأحداث السياسية والاجتماعية.[1]

(١) العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٢هـ)، ج١، مرجع سابق، ص ص٣١٨-٣١٩.

obeikan.com

obeikan.com

المصادر والمراجع

أولاً : الوثائق:

دارة الملك عبدالعزيز، من مجموعة الوثائق التركية، **وثيقة رقم ١٧٣٣٧**، (رسالة من والي مصر محمد علي باشا إلى السلطان العثماني بتاريخ ١٥ ذي الحجة ١٢٤١هـ).

دارة الملك عبدالعزيز، المركز الوطني للوثائق والمخطوطات، **وثيقة رقم ١٧٢١**، تقرير عن تحرك سعود شقيق عبدالله بن فيصل نحو الحسا وسيطرته عليها وتحرك قوة من الجيش السادس الهمايوني ضده.

ثانياً : المصادر:

أ- مصادر مخطوطة:

آل بسام، عبدالله بن محمد، (مخطوط)، **تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق**، لوحة ١١٧، نسخة مصورة بمكتبة دارة الملك عبدالعزيز، رقم ٢١٠.

الذكير، مقبل بن عبدالعزيز، (مخطوط)، **العقود الدرية في تاريخ البلاد النجدية**، لوحة ٣٢، نسخة مصورة في دارة الملك عبدالعزيز رقم ٥٧٠.

ب- مصادر مطبوعة:

ابن بشر، عثمان بن عبدالله، (د. ت.)، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، جزءان، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

ابن عيسى، إبراهيم بن صالح، (١٣٨٦هـ)، **تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد**، دار اليمامة، الرياض.

ابن عيسى، إبراهيم بن صالح، (د. ت.)، **عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر**، تحقيق عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبدالله آل الشيخ، المطابع الوطنية الحديثة، الرياض.

obeikan.com

الحموي، ياقوت بن عبدالله، (ت٦٢٦هـ، ط١٩٦٧م)، **معجم البلدان**، ج٢، دار بيروت للطباعة والنشر، لبنان.

الفاخري، محمد بن عمر، **الأخبار النجدية**، دراسة وتحقيق وتعليق أ. د. عبدالله بن يوسف الشبل، جامعة الإمام بن سعود الإسلامية، الرياض.

ثالثاً: المراجع:

إبراهيم، سيد محمد، (١٤٠٠هـ)، **تاريخ المملكة العربية السعودية**، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

أبو علية، عبدالفتاح حسن، (١٤٠١هـ)، **الدولة السعودية الثانية**، مؤسسة الأنوار، الرياض.

أحمد، فؤاد عبدالمنعم، (١٤١١هـ)، **أصول نظام الحكم في الإسلام مع بيان التطبيق في المملكة العربية السعودية**، مؤسسة شباب الإسكندرية.

آل الشيخ، عبدالرحمن بن عبداللطيف، (١٣٩٢هـ)، **مشاهير علماء نجد وغيرهم**، دار اليمامة، الرياض.

ابن بليهد، محمد بن عبدالله، (١٣٩٩هـ)، **صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار**، ج١، القاهرة.

ابن خميس، عبدالله بن محمد، (١٣٩٨هـ)، **معجم اليمامة**، ج١، مطبعة الفرزدق، الرياض.

ابن خميس، عبدالله بن محمد، (١٤٠٧هـ)، **تاريخ اليمامة**، ج٣، مطابع الفرزدق، الرياض.

بلي، اللفتنانت كولونيل لويس، (١٤١١هـ)، **رحلة إلى الرياض**، ترجمة وتحقيق وتقديم عبدالرحمن عبدالله آل الشيخ وعويضة بن متيريك الجهني، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، صفحة ح.

الجاسر، حمد، (١٣٨٦هـ)، **مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ**، ط١، منشورات دار اليمامة، الرياض.

السعدي، حصة أحمد عبدالرحمن، (١٤١٦هـ)، **الدولة السعودية الثانية وبلاد غرب الخليج وجنوبه**، مكتبة العبيكان، الرياض.

obeikan.com

السلمان، محمد بن عبدالله سليمان، (١٤٠٧هـ)، **الأحوال السياسية في القصيم في عهد الدولة السعودية الثانية، ١٢٣٨-١٣٠٩هـ/ ١٨٢٣-١٨٩١م**، ط١، المطابع الوطنية للأوفست، عنيزة.

عبدالرحيم، عبد الرحيم عبدالرحمن، (١٩٨١م)، **محمد علي وشبه الجزيرة العربية ١٢٣٤-١٢٥٦هـ/ ١٨١٩-١٨٤٠م**، ج٢، ط١، دار الكتاب الجامعي، القاهرة.

العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤٠٤هـ)، **بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية**، ط١، دار الهلال، الرياض.

العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١١هـ)، **نشأة إمارة آل رشيد**، ط٢، مطابع الشريف، الرياض.

العثيمين، عبدالله الصالح، (١٤١٢هـ)، **تاريخ المملكة العربية السعودية**، ج١، ط٤، مطابع الشريف، الرياض.

العجلاني، منير، (١٤١٠هـ)، **الإمام تركي بن عبدالله**، دار الشبل، الرياض.

فاسيلييف، أليكس، (١٩٨٦م)، **تاريخ العربية السعودية**، ترجمة خيري الضامن وجلال الماشطة، دار التقدم، موسكو.

الكليب، فهد بن عبدالعزيز، (١٤١٠هـ)، **الرياض ماض تليد وحاضر مجيد**، الرياض.

المختار، صلاح الدين، (د.ت.)، **تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها**، مكتبة الحياة، بيروت.

obeikan.com